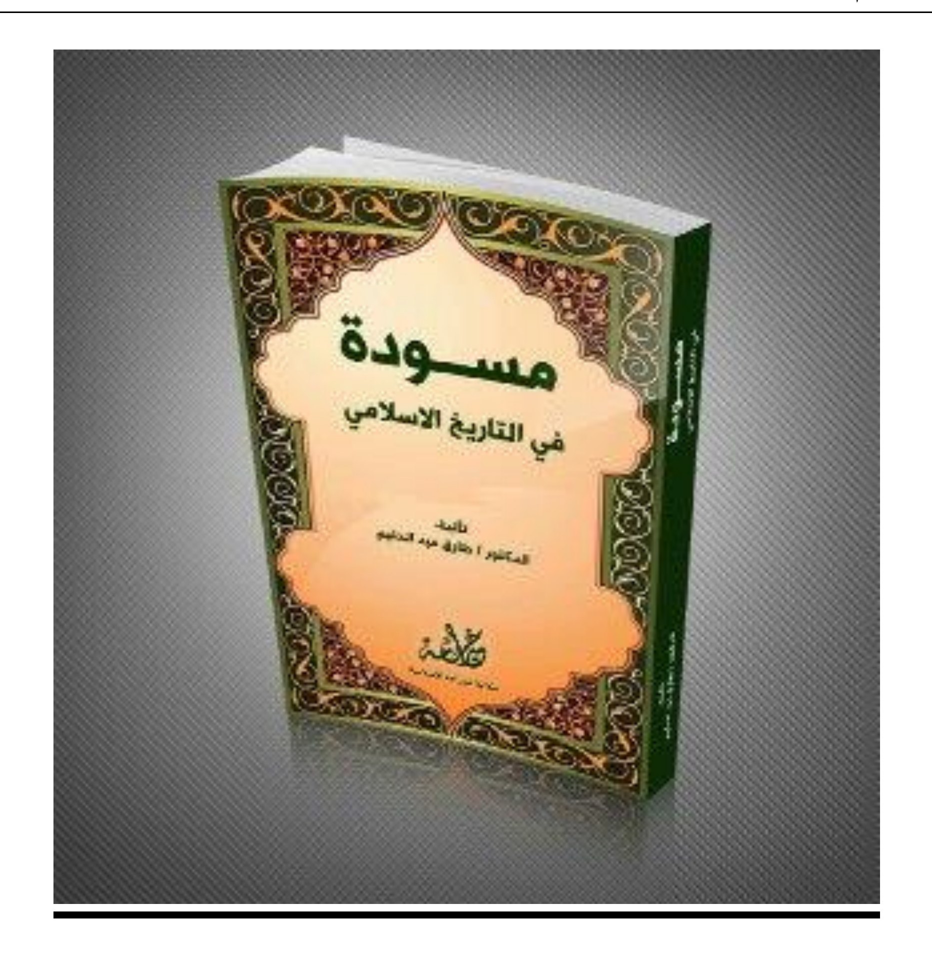

مسـودة
في التاريخ الاسلامي

الدولة الأمــوية

معاوية رضى الله عنه (41-60):

1. استشهاد على رضي الله عنه عام 40
2. بكاء معاوية على عليّ وقوله: إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره.
3. مبايعة اهل العراق للحسن، وخروجه في جيش كثيف رغما عنه لقتال معاوية.
4. شك الحسن في إخلاص أهل العراق. إشاعة مقتل قيس بن سعد بن عبادة القائد، وشيوع الفوضى وطعن الحسن.
5. إلحاح أهل الكوفة عليه في الخروج.
6. رؤية معاوية للجيش واشفاقه على المسلمين
7. أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن
8. موافقة الحسن على الصلح
9. حديث البخاري والترمذي الصحيح في قول رسول الله ﷺ :"إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين".
10. تسليم الأمر لمعاوية ودخوله الكوفة في عام 41 "عام الجماعة"
11. تولية المغيرة بن شعبة الكوفة وعمرو بن العاص مصر (حتى وفاته رضى الله عنه عام 43 على الأغلب).
12. فضائل عمرو ص 26 ج8 بن كثير
13. الحركات التي واجهها معاوية:
    a. **الخوارج**: الذين رفضوا مبدأ الصلح بين الحسن ومعاوية:
        i. حركة فروة بن نوفل في الكوفة
        ii. حركة المستورد بن علقمة في الكوفة
        iii. قضاء المغيرة بن شعبة عليهما

iv. حركة حيّان بن ظبيان عام 58 ثم قتلهم جميعا في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان للكوفة، وهو بن أم الحكم أخت معاوية.

b. **الروافض**: شدّ عليهم معاوية لعلمه بنواياهم، وذهابهم للحسن لحثه على الخروج، ورفض الحسن لذلك.

i. **المغيرة بن شعبة** كان حليما سموحا لا يلجأ للعنف إلا على قدر الحاجة فلما مات رحمه الله، عيّن معاوية زياد بن أبيه عام 50.

ii. هو **زياد بن أبيه:** وسمي ابن أبيه لاختلافهم في اسم أبيه، فقيل هو عبيد الثقفي، وقيل هو أبو سفيان. أمه سمية، كانت جارية للحارث ابن كلدة الثقفي في الطائف وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة أبو المغيرة. يقال إن أبا سفيان اعترف قبيل موته، بحضرة بعض الشهود، بأنه اجتمع بأمه فحملت منه، وقد وهب الله زياد براعة فائقة وبطولة نادرة مما حدا بأبي سفيان أن يعترف بأنه أبوه، لكن نسب زياد لم يثبت إلا في عهد معاوية سنة 44هـ حيث اعترف معاوية بأنه أخوه لينتفع بمواهبه, ومنذ ذلك الحين أصبح يطلق عليه زياد بن أبي سفيان, ولكن اسم (زياد بن أبيه) كان هو الغالب. وقد أنكر الحسن البصري وغيره من الفقهاء هذا الاستلحاق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) ولقوله صلى الله عليه وسلم: من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام. أدرك زياد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في عهد أبي بكر. كان كاتبا بليغا, كتب للمغيرة بن شعبة ثم لأبي موسى الأشعري أيام ولايته على البصرة كتب لعبد الله بن عباس وناب عنه بالبصرة أيام كان واليا عليها في خلافة علي بن أبي طالب كان زياد من مشاهير الخطباء, وكان داهية وقد حاول معاوية أن يستميله إليه في حياة علي بن أبي طالب فلم يستطع, فلما قتل علي خشي زياد على نفسه فاعتصم بفارس ولم يبايع, ورأى معاوية أن يتغلب عليه بالحكمة فأرسل إليه المغيرة بن شعبة وما زال به حتى بايع بعد أن أرسل إليه معاوية كتاب أمان, فقدم إليه واستلحقه. ولاه معاوية البصرة وخراسان وسجستان، فجمع له بذلك العراقين، أي عراق العرب وعراق العجم، وكان أول من جمع له العراقان, فأرسخ حكم بني أمية في البلاد التي وليها وألزم الناس طاعتهم, وكان أفتك من الحجاج. هو أول من اتخذ العسس والحرس في الإسلام وأول من سارت الرجال بين يديه تحمل الحراب كما كانت تفعل الأعاجم. طلب إلى معاوية أن يضم إليه الحجاز فضج أهل الحجاز وفزعوا، وأسرع إليه الموت فمات من ورم أصاب يده. ردّ الخليفة المهدي نسبه فيما بعد.

iii. **مقتل حجر بن عديّ الكندي**، عام 51، وكان من رؤساء الكوفة، وهو ليس بصحابي ولكنه من التابعين وأصحاب عليّ. وكان يقوم للمغيرة فيشوّش عليه ويطلب منه تأدية الحقوق وكان المغيرة يحلُم به. ثم جاء زياد ففعل معه حجر مثلما فعل مع المغيرة

فتعاون عليه زياد حتى جاء به في القيود وأرسله إلى معاوية. فأمر معاوية باستشهاد الشهود أنه يغري بالثورة على الأمير وأنه صاحب شغب فشهد عدد من فضلاء أبناء الصحابة عليه فأمر بقتلـه، وقيل إنه طلب الوضوء والصلاة فتوضأ وصلى خفيفا فقيل له في ذلك فقال: خفت أن يقال إنني أجزع من الموت. وقد عاتبت أم المؤمنين عائشة معاوية في حجر فقالت له: أين ذهب حلمك يا معاوية مع حجر! قال: ذهب عني حين غاب عني من قومي أمثالك يا أمّاه. وقال: إن لي يوما طويلا مع حجر أمام رب العالمين. وقد غسّلوه ودفنوه في قيوده كما طلب. فقال الحسين: والله لقد حجّهم.

14. عمال معاوية

a. في مصر: عمرو بن العاص ثم عبد الله بن عمرو ثم عتبة بن أبي سفيان

b. في المدينة: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص

c. في العراق: المغيرة بن شعبة في الكوفة وزياد بن أبيه في البصرة ثم زياد على الكوفة والبصرة معا.

15. بيعة يزيد:

a. نهاية الخلافة الراشدة وبداية الملك

b. خشية الصراع مرة أخرى بين بني هاشم وبني أمية جعله يفكر في إبقاء الخلافة في بني أمية. ثم أراد أن يولـيّ من يمكّن للشام وهم أهل العصبية للخليفة أن يوالوه، وهو لم يفعل ما أجمع المسلمون على خلافه بل ما لم يفعله الراشدون.

c. إيعاز المغيرة بن شعبة له بتولية يزيد (المغيرة أشار على عمر من قبل بتعيين عبد الله بن عمر)

d. عدم رغبة معاوية لفعل ذلك في حياة الحسن. وفاة الحسن رضي الله عنه عام 49

e. اعتماد معاوية على القبائل اليمنية (كلاب ومنها أم يزيد والأذد)

f. طلب معاوية استشارة الناس في أن يولّي خلفا له، فرضوا بذلك كما فعل أبي بكر

g. عندما سمّى يزيد رضخت الشام والعراق، ولكن المدينة لم تقبل بذلك إذ هي أرض الصحابة، فقام ضده عبد الرحمن بن أبي بكر، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس والحسين بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين.

h. قالوا إن كان الحكم وراثيا فإن أيهم أحق بها من يزيد وإن كان للأفضل فيزيد آخر من يستحقها.

i. قدوم معاوية للمدينة بنفسه للحديث مع المعارضة القوية وفشله في اقناعهم (ذكروا قصة أن معاوية قدم للمدينة في ألف فارس ليرعب الصحابة ويأخذ البيعة بالقوة وهو خلاف طبع معاوية، وأنه أخذ البيعة له وهؤلاء تحت السيف في المسجد، وهذا مخالف لما في وصيته من أنهم لم يبايعوا).

j. تحضيره لإعلان البيعة ثم إعلانها عام 56 وتخلف أهل المدينة عنها.

k. ذهاب معاوية مرة أخرى للمدينة وكسبه البيعة ليزيد ولكن أبناء الصحابة تركوا المدينة إلى مكة.

l. توجهه إلى مكة وكسبه للمعارضة إلا عبد الله بن الزبير والحسين بن عليّ.

m. توجيهه ليزيد لقتال البيزنطيين حتى يعده للمسؤولية.

16. الفتوحات الخارجية:

a. كانت سياسة معاوية تثبيت الفتوحات أكثر من توسيعها

b. الجبهة الشرقية:

i. المهلب بن أبي صفرة: واصل الفتوح إلى لاهور

ii. زياد وابنه عبيد الله: وصلوا إلى كابل وبعدها

iii. سعيد بن عثمان بن عفان: تولى خراسان، وحارب أهل السند والترك وكش وانتصر عليهم وفتح بخارى وسمرقند وترمذ.

c. الجبهة الغربية:

i. بعد معركة ذات الصوارى أيام عثمان خسرت الدولة البيزنطية مواقعها في مصر والشام وفي مياه البحر الأبيض

ii. سياسة معاوية:

1. حماية الحدود والإستيلاء على القسطنطينية.
2. الصوائف والشواتي (دوريات منتظمة للهجوم على العدو)
3. أنشأ أول أسطول بحري إسلامي قوي لحماية الشواطئ العربية ومهاجمة العدو في البحر وحماية التجارة.
4. حاصر القسطنطينية بقيادة فضالة بن عبيد الله الأنصاري عام 49. وعزز الحصار بإرسال جيش بقيادة يزيد.

5. حاصر المسلمون القسطنطينية لعدة شهور ثم رجعوا ولكن كانت رسالة قوية إلى البيزنطيين لصدهم عن محاولة الهجوم على المسلمين.
6. فتح رودس عام 52 بعد صقلية وقبرص فأحكم الحصار البحري حول البيزنطيين.
7. الحصار الثاني للقسطنطينية: دام سبع سنات ولم يحقق نتائج حاسمة.

d. جبهة شمال أفريقيا: مرت بعدة مراحل:

i. الأولى

1. عمرو بن العاص بعد فتح مصر في عهد عمر
2. سعد بن عبد الله بن أبي السرح في عهد عثمان
3. معاوية بن خديج في عهد معاوية ووصوله إلى قرطاجنة

ii. **الثانية**:

1. تعيين عقبة بن نافع الفاتح العظيم للغرب الأفريقي.
2. أنشأ القيروان في عام 50 في تونس لتكون قاعدة للفتوحات ومنعا لأهل المغرب من الإرتداد.
3. كان شديدا على البربر مما جعل مهمة الفتوح أصعب والتوتر أشدّ.
4. عزل معاوية لعقبة

iii. **الثالثة**:

1. تعيين أبو المهاجر دينار الأنصاري بدلا من عقبة
2. هجومه على البيزنطيين ومنعه تأليبهم للبربر على المسلمين
3. فتحه للمغرب واستقرار الإسلام بها
4. دارت الحرب بين قائد البربر وبين أبو المهاجر وانتصر المسلمون وأسلم كسيلة قائد البربر وقومه.

iv. **الرابعة**:

1. أعاد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع لحكم أفريقيا وعزل أبو المهاجر.

17. السياسة الإدارية:

a. أنشأ ديوان الخاتم لحفظ أسرار الخليفة وتقارير الولاة.

b. أنشأ ديوان البريد لتسهيل نقل الرسائل الحكومية.

18. وفاة معاوية رضي الله عنه: عام 60 هـ

يـزيــد بن معاوية بن أبي سفيان (60-64):

1. تربية معاوية له، وإرساله في الغزو، ووصيته له بالحرص من الحسين ومن بن الزبير خاصة والرأفة بالحسين إن قدر عليه والشدة على بن الزبير.

2. رؤية معاوية لإبنه شاعرا ذكيا مجاهدا، وقد ولد بالشام وتمرّس بأهلها فهو لائق بحفظ عصبيتها، ولكنه عرف عنه الإستهتار والكسل، وكأي أبٍ، فقد اعتقد أنه سيترك ذلك حين يجد الجدّ وهي خدعة تنطلي على أي ابٍ محب لإبنه يرى أنه أعده لمهمته.

وعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ   ولكن عين السخط تبدي المساوءا

3. مواجهة يزيد لثلاث كوارث في عصره:

a. خروج الحسين وكربلاء

b. خروج أهل المدينة ووقعة الحرّة

c. خروج عبد الله بن الزبير في مكة

4. خروج الحسين وبن الزبير إلى مكة عند وفاة معاوية.

كارثة كربلاء

5. ورود رسائل عديدة من الكوفة للحسين أنهم يريدون أن يبايعوه ويقاتلوا معهم

6. إرساله مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة للتحقق من الأمر. دخول مسلم على سليمان بن الصرد الخزاعيّ.

7. نصح كافة الصحابة له بعدم الخروج على يزيد إما لأنه لن يصل إلى نتيجة لعدم الثقة بأهل العراق كابن عباس أو لأن الخروج على طاعة الإمام غير شرعية كأبي سعيد الخدري وعمرة بنت عبد الرحمن فإنهما قد

رويا له أحاديث الخروج على الإمام المبايع وأنه لا حجة له في الخروج ولكن الحسين كان يرى أن هؤلاء القوم من بني أمية لم يأخذوا بيعة شرعية وأنهم من الفاسدين وأنهم "تركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من خرج" الطبري.

8. توجه مسلم بن عقيل للكوفة وبايعه 12000 مقاتل فظن أن الأمر مستتب للحسين فأرسل له رسالة يحثه على الخروج.

9. تغاضى النعمان بن بشير والى يزيد على الكوفة عن هذه الحركة ولم يستمع لأمر يزيد بتشتيت أمرهم فعزله يزيد وولى عبيد الله بن زياد وهو من هو في القسوة والشدة. وهو بن جارية من المجوس وضيع النسب.

10. اختباء مسلم في منزل هانئ بن عروة من أشراف الكوفة. هانئ يتأخر عن تهنئة عبيد الله على الإمارة.

11. إرسال عبيد الله لهانئ للحضور اليه ورفض هانئ تسليم مسلم بن عقيل.

12. خروج مسلم وجمعه لأربعة آلاف مقاتل وتوجه إلى دار الولاية يحذر عبيد الله من قتل هانئ، ولكن رجال القبائل الذين كانوا مع عبيد الله في بيته، خذّلوا الرجال فانفضوا من حول مسلم فلم يأت الليل إلا وهو وحيد شريد فذهب إلى منزل لتأويه صاحبته، ولكن ابنها وشى بها فأرسل عبيد الله من يأتي به فحاربهم حربا شديدة ثم أعطوه الأمان فحملوه إلى عبيد الله، ثم دارت بينهما محادثة محزنة تدل على خساسة بن زياد وخبثه ونبل مسلم وإيمانه ثم طلب مسلم أن يوصي قبل قتله فأوصى بسداد دين عليه في مكة وأن يرسلوا للحسين ألا يخرج. ثم أمر به فقطع رأسه رضى الله عنه وقتل هانئ بن عروة.

13. قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وموافقة يزيد على ذلك، وتعليماته لعبيد الله بعدم قتال الحسين إلا إن بدأه بالقتال.

14. خروج الحسين عام 60 قبل مقتل مسلم (يوم عرفة) بيوم واحد متوجها للكوفة رغم نصح بن عباس له بعدم الخروج وعدم تصديقه لرسول مسلم بن عقيل. أما بن الزبير فقد استحسن فكرة الخروج ربما لأنه كان يتشوق للقضاء على يزيد وإعادة الخلافة راشدة.

15. تلقى الحسين رسالة أخرى من أحد قادة عبيد الله إلا أنه لم يستمع لها كذلك.

16. بعد فترة اقتنع الحسين بعدم جدوى الخروج فأراد العودة إلا أن إخوة مسلم أرادوا أخذ ثأره فطاوعهم.

17. لقي الحسين الفرزدق فسلم عليه وقال: على ما تركت الناس؟ قال: قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء. وكان الفرزدق محبا لآل البيت وله قصيدة مشهورة في مده أهل البيت قالها ردّا على بن عبد الملك.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ

هذا بن خيـــر النـــاس كلهـــم — هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلمُ

**هذا بن فاطمـة إن كنت جاهلـــه		بجـَـدّه أنبيـاءُ الله قد ختمــوا**

**وليس قــولك من هذا بضائـــره		العرب تعرف من أنكرت والعجمُ**

18. قال الحسين: لإن قتلني أهل الكوفة ليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرم الأمة.

19. لقي الحسين مقدمة جيش عبيد الله وعلى رأسها الحرّ بن يزيد التميمي. وقد نصح له الحرّ أن يعود وكان يصلى وراءه الفرائض، وقال له أن الأوامر أن ألزمك حتى تدخل على عبيد الله. قال الحسين: دزن ذلك الموت، قال الحر: اتق الله في نفسك فإنك إن قاتلت قتلت، قال الحسين، أفبالموت تخوفني ثم أنشد:

**سأمضي وما بالموت عار على إمرئ		إذا ما نوى حقا وجاهد مسلمـــا**

**وآســـــى الرجال الصالحين بنفســـه		وفارق خوفا أن يعيش ويرغما**

20. ارسال عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى لقاء الحسين، ومنع جنودهم الماء عن جيش الحسين.

21. عرض الحسين على عمر ثلاث خلال:

a. أن يتركه ليعود إلى مكة

b. أن يأخذه إلى يذيد يكلمه

c. أن يبعثه إلى ثغر يقاتل الكفار

22. موافقة عمر على ذلك ولكن شمر ذي الجوشن أبى إلا أن يطيعوا ويعطوا البيعة ليزيد وأرسل إلى عبيد الله أن عمر والحسين يلتقيان فيتحدثا طوال الليل.

23. بدأ البغاة بالقتال وكانت أحداث دامية لا محل لها انتهت بقتل الحسين وجميع من معه إلا ولده الأصغر على زين العابدين وفاطمة بنت الحسين وزينب أخت الحسين وبعض نساء القتلى.

24. قتل رضى الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء عام 61. وماتت في هذه السنة أم المؤمنين أم سلمة.

كارثة الحــرّة

25. معاملة يزيد الحسنة لأهل المدينة وتعيينه عثمان بن محمد بن أبي سفيان واليا عليها وكان رجلا لينا.

26. استقبال يزيد وفدا من أهل المدينة وإحسانه اليهم منهم عبد الله بن حنظلة الغسيل

27. خلع أهل المدينة ليزيد وتولية عمالهم على المدينة ومكة وامتناع عبد الله بن عمر وعلى بن الحسين عن ذلك ونصحهم الناس بعدم الخروج. ولجوء بن الزبير إلى مكة.

28. حصر بني أمية في بيت مروان بن الحكم.

29. ارسال يزيد مسلم بن عقبة على رأس الجيش ليدعوا الناس إلى العودة للبيعة ويمهلهم 3 أيام وإلا قاتلهم واستباح المدينة 3 أيام. ثم أن يتوجه إلى مكة للقاء بن الزبير.

30. استباحة المدينة 3 ايام وجرى فيها من الشرور ما جرى فلا حول ولا قوة إلا بالله. وقتل في المدينة عدد من الصحابة منهم عبد الله بن حنظلة وعمرو بن سنان.

31. توجه مسلم بن عقبة لمكة لقتال بن الزبير عام 64. وهلم مسلم بن عقبة ثم تولى الحصين بن نمير مكانه

32. اشتعال النار في أستار الكعبة قيل لضربها بالمنجنيق وقيل لأن الناس كانوا يوقدون النار في الحرم للتدفئة.

33. استمر القتال شهرين إلى أن جاءت الأنباء بموت يزيد.

34. عرض الحثين على بن الزبير أن يبايعه على أن يأتي معه إلى الشام حيث أن الأمويين مشتتون ولكن بن الزبير رفض ترك مكة، وهو رأئ ليس بسديد.

35. يزيد: بن معاوية وأمه ميسون من بني كلب. عاش حوالي 38 عاما. روى عنه حديث من يرد الله به خيرا..وقد كان فيه علم وحلم وصاحب شعر إلا أنه كان يترك الصلوات بعض الأوقات ويرتكب بعض المحرمات فكان فاسقا ولكن لم تصح الأحاديث التي رويت في لعنه وأمره إلى الله.

36. يجب أن يفرّق بين حكم يزيد وحكم الحكومات العلمانية إذ أن حكم يزيد وبني أمية والعباسيون عامة كان الشرع المحكم فيه هو الإسلام وإن ظلموا وجاروا وحكّموا الهوى في عدد من القضايا ولكن الحكومات العلمانية اليوم تتخذ الأحكام الوضعية دستورها الحاكم لا الشريعة وهو الفارق بين الإسلام والكفر.

معاوية بن يـزيـد بن معاوية (64):

1. كان عمره 18 عاما في غالب الروايات وكان مريضا وضعيفا صحيا، وكان يكنى بأبي ليلى.
2. لم يكن له شأن يلحظ في ولايته القصيرة (حوالي 3 أشهر)، وكان جميل الصورة ديّناً. وقد قال للناس: أنه يمكن أن يوليّ عليهم من بعده، أو أن يترك لجنة من ستة أشخاص كما فعل عمر ولكنه لا يرى من يستحق الأمر فتركه مفتوحا للناس، ثم مات، رحمة الله عليه.
3. حين وصل الأمر لمروان قال:

إني أرى فتنة تغلو مراجلها   والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

4. كان أخواه عبد الرحمن وخالد بن يزيد بن معاوية ممن تنافسا على الولاية من بعده.

حالة الحكم بعد معاوية الثاني

1. ترك معاوية الثاني الحكم في حالة يرثى لها، إذ ليس هناك مرشح واضح للولاية، وبني أمية ليس بينهم من يجمع عليه الناس خاصة وبن الزبير قد أخذ البيعة لنفسه في الحجاز بعد رفضه عرض الحرّ بالذهاب إلى دمشق.
2. إختلاط ولاية عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم.

عبد الله بن الزبير بن العوام

3. طرد بن الزبير بني أمية من المدينة فتوجهوا إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم.
4. أرسل أهل البصرة اليه ليبايعوه بعد حروب بينهم مدة ستة أشهر.
5. بايعه عبد الله بن جعفر وعبد الله بن علي بن أبي طالب.
6. لم يبايعه بن عباس ولا بن عمر ولا محمد بن الحنفية.
7. بايعه أهل الكوفة وولى عليهم عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى
8. بايعه أهل مصر وعيّن عليهم عبد الرحمن بن جحدم
9. بايعه أهل اليمن وخراسان.
10. كان في جيشه من الخوارج نافع بن الأزرق وعبد الله بن إباض ثم تركوه لمّا علموا ما يقول في عثمان وحسن سيرته وصلاحه.
11. كان والي دمشق في هذا الوقت الضحاك بن قيس الفهريّ (من القيسية، وهو بن أخي أبو عبيدة بن الجرّاح) وكان من صغار الصحابة (أخو فاطمة بنت قيس) وقد عزم على بيعة بن الزبير.
12. بايع النعمان بن بشير لإبن الزبير في حمص وزفر بن عبد الله في قنسرين ونائل بن قيس في فلسطين وكاد مروان بن الحكم أن يبايع لإبن الزبير إلا أن عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير أثنياه.
13. في عام 64 هدم بن الزبير الكعبة وأقامها من جديد على ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما في حديث الصحيحين عن عائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بكفر،..."، ثم بناها على هيئتها وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابان وكساها.
14. كانت حركة الخوارج الأزارقة قد اشتدت مرة أخرى وكادوا أن يستولوا على البصرة، فأرسل بن الزبير المهلب بن أبي صفرة اليهم فقاتلهم قتالا عنيفا وقتل بن الأزرق وانتصر المهلب بعد أن كاد ينهزم، وولى

الخوارج بعدها قطري بن الفجاءة الشهير. وعيّن بن الزبير مصعبا على البصرة، وأرسل المهلب إلى خراسان.

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (65)

15. بايع حسان بن مالك (من اليمانية) لبني أمية في الأردن في شخص خالد بن يزيد بن معاوية.

16. اجتمع بنو أمية وحلفاؤهم في **الجابية** حيث ظهرت الخلافات والولاءات ولكن استطاع مروان بن الحكم أن يكتسب البيعة لكبره وصحبته (ولد بعد عامين من الهجرة ومن المؤرخين من يعده صحابيا) وتعهد مروان أن تكون الخلافة من بعده لعمرو بن سعيد بن العاص.

17. كان على مروان بن الحكم أن يحارب القيسية حتى تجتمع له البيعة، وقد تقاتلا في **مرج راهط** حيث قتل الضحاك رضى الله عنه ثم بعدها النعمان بن بشير رضى الله عنه. وقد روى أحمد عن الضحاك حديث: إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم...". أما النعمان بن بشير فقد حنّكه رسول الله ﷺ وقال أنه يعيش حميدا ويموت شهيداً، وقد ولي الكوفة لمعاوية ونيابة حمص له، وهو الذي لان لمسلم بن عقيل في الكوفة وأعاد أهل البيت إلى المدينة مكرمّين بأمر يزيد.

18. بعد معركة مرج راهط، استتب الأمر لمروان في الشام ثم اتجه إلى مصر فتغلب على عامل بن الزبير هناك حيث أن غالب المصريين كان هواهم أموياً وهم عثمانية.

19. أعد مروان جيشين: جيش بقيادة عبيد الله لمقاتلة زفر بن الحارث الزبيري، وآخر بقيادة حبيش بن دلجة لقتال بن الزبير إلا أن جيش الزبير بالمدينة تغلب عليه. وتوجه جيش عبيد الله للموصل في العراق لمقاتلة الزبيرين، فقاتل عبيد الله في عين الوردة التوابين أولا ثم أنه انتهى لقتال المختار بعد تغير الخريطة السياسية للمنطقة كما سنرى.

20. مات مروان بن الحكم في هذا الوقت بعد حكم دام حوالي 9 أشهر. وقبل موته أخذ البيعة من القبائل اليمنية من الكلبيين أن يبايعوا ابنه عبد الملك من بعده بدلا من خالد بن يزيد لعدم مقدرته على مواجهة بن الزبير.

21. ومروان ولد في عهد النبي ﷺ وله حديث في بيعة العقبة وروى لعمر وعثمان وكتب لهما، وروى عنه أكابر ابناء الصحابة كعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وكان من مشايخ قريش وفضلائها، وقد بكى بعد معركة مرج راهط أن وصل به الحال أن يقاتل في مثل عمره على ولاية. وقد حلف أنه ما كتب خطابا أيام عثمان كما حلف عثمان. وكان علي بن أبي طالب يوم الجمل يسأل عن سلامته دوما فسأل في ذلك فقال: إنه يعطفني له رحم ماسّة، وهو سيد من شباب قريش.

حركة التوّابين: بقيادة سليمان بن الصرد، عام 65 وهم لم يدع لإمام ولكن للتوبة من خذلان الحسين رضى الله عنه وقد جمعوا الناس في البصرة والكوفة وكاتبوا المدائن فاستجاب لهم واليها سعد بن حذيفة بن اليمان، وأراد والي الكوفة من قبل بن الزبير، عبد الله بن يزيد الأنصاري، أن يساعدهم ولكنهم أبوا ذلك. ثم التقوا في موعد محدد بالنخيلة

وكانوا 4000 للخروج إلى ملاقاة جيش الأمويين وقتل عبيد الله لأنهم قالوا إنه هو قاتل الحسين. ومروا في طريقهم بكربلاء وبكوا وقضوا اليوم هناك ثم توجهوا إلى قرقيسياء فأراد زفر بن الحارث والى الزبير أن يمدهم بعون عسكري ولكنهم رفضوا، ثم لاقوا جيش الأمويين في **عين الوردة** فقتلوا جميعا إلا فلول هربت إلى الكوفة.

حركـة المختار بن عبيد الله الثقفي الكذاب: وأول ظهوره كان حين استقبل مسلم بن عقيل في منزله. ثم لمّا قتل مسلم، سجنه والي الكوفة حتى مقتل الحسين رضى الله عنه ثم خرج إلى مكة وأظهر الرغبة في التعاون مع ابن الزبير ثم اختلف مع ابن الزبير الذي لم يثق فيه، فخرج إلى الكوفة بعد موت معاوية الثاني بن يزيد وأعلن أنه وليّ محمد بن الحنفية والداعي له، دون إذن محمد له بذلك. وأبتدع القول بالبداء (أي أن الله يغير رأيه حين يشاء!) وذلك ليتمكن من تبديل أقواله، وهو أول من استعمل كلمة "المهدي" في قاموس التشيع، وأظهر أنه يأتيه وحي من السماء، وأصبح القائد الأول للشيعة في الكوفة.

عبد الملك بن مروان بن الحكـم (65-86)

1. تولى عبد الملك بعد وفاة أبيه مروان الخلافة عن بني أمية وواجه المشكلات التي كانت مشتعلة في العالم الإسلامي من خلافة بن الزبير وحركة المختار الكذاب.

2. كان عبد الملك من الفقهاء العلماء العباد في المدينة وممن عرف بملازمة العلماء دوما.

3. انقسمت الدولة الإسلامية في هذا العهد إلى ثلاث أقسام: الشام ومصر مع عبد الملك، والكوفة مع المختار والحجاز والبصرة مع بن الزبير.

4. حاول المختار الإستيلاء على البصرة ففشل أمام صلابة قائدها مصعب بن الزبير.

5. اقترب جيش الأمويين من الموصل للقاء المختار. خرج ابراهيم بن الأشتر النخعي لملاقاة عبيد الله وانتصر هليه وقتل بن زياد قبحه الله عام 67 وقتل معه الحصين بن نمير وهما اللذان أشارا على مروان بعدم بيعة بن الزبير.

6. استفحل أمر المختار خاصة بعد أن تكهن بالنصر على الأمويين فصدقه كثير من الناس! وكذبه عامر الشعبيّ.

7. سار مصعب بن الزبير لملاقاة المختار في الكوفة وقتل المختار لعنة الله عليه.

8. وخضعت الكوفة والبصرة وما وراء النهرين لابن الزبير. وقدم عليه ابراهيم بن الأشتر وأخذ أمانه ورضى عنه. وصارت المواجهة بينه وبين عبد الملك حتمية وشيكة.

9. وفاة عبد الله بن عباس رضي الله عنه عام 68 وكان أعلم الناس وأفقههم وذو حلم عظيم وذكاء وثاب لا يختلف عليه اثنان.

10. قتل عبد الملك عمرو بن سعيد بن العاص عام 69، وكان صحابياً روى عن عائشة وبن عباس وعليّ ، أديبا. وفي هذه السنة مات أبو الأسود الدؤلي صاحب عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه.

11. توجه عبد الملك بنفسه إلى حرب مصعب في الكوفة وانتصاره عليه بعد أن استمال كثير من قواد مصعب إلى صفه، وعدم تحرك مصعب للتعامل مع هذا الوضع. ومقتل مصعب رضى الله عنه عام 71. وكان صحابيا روى عن أبيه وأبي سعيد الخدري، وكان جوادا كريما معطاءا، وكانت تحته سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وكانتا من أجمل الناس وأخوه عروة بن الزبير عالم المدينة.

12. تسيير عبد الملك جيش بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، طاغية آخر على غرار زياد وابنه قبحهم الله حميعاً، إلى مكة لحصار بن الزبير.

13. حاصر الحجاج الطاغية مكة أياما وخرج بن عمر مع الحجاج، ثم رمى جيش الحجاج مكة بالمنجنيق وخرج له قوم كثير من أتباع بن الزبير ليؤمنهم ففعل ومنهم ابني عبد الله، حمزة وخبيب. حتى إذا لم يبق معه إلا القليل، ذهب لإمه، أسماء ذات النطاقين أخت عائشة وبنت الصديق، رضى الله عليهم أجمعين، فتكلم معها كلاما يدمى القلب، فشجعته على المثابرة والقتال في خطبة بليغة[1] إذ أنه على الحق وهم على الباطل وأنه إنما طلب بهذا الآخرة لا الدنيا، فخرج أمير المؤمنين رضى الله عنه فقاتل حتى قتل، ومثّل به الحجاج لعنة الله عليه.

14. بهذا صفت الخلافة لعبد الملك بن مروان عام 72 بعد حوالي تسع سنوات من خلافة بن الزبير رضي الله عنه.

15. من الأمور الهامة أن الدولة الأموية لم تسو في العطاء بين أهل العراق وبين أهل الشام ولا بين العرب والموالي مما أثار حفيظة الطبقة الدنيا من أهل العراق.

16. حركات الخوارج:

a. **الأزارقة**: رأينا كيف حاول نافع بن الأزرق أن يستولي على البصرة ثم فشله وقضاء المهلب بن أبي صفرة عليه.

b. **الصفرية**: كانوا يهددون البصرة بشكل عام، ثم قاتلهم الحجاج عام 77 وقضى على زعيمهم شبيب بن يزيد.

c. **النجدات**: باليمامة: بزعامة نجدة بن عامر النجديّ: وقد قضى عليهم عبد الملك.

17. حركة عبد الرحمن بن الأشعث: زعيم كندة ومن أشراف الكوفة. وقد ندبه الحجاج عام 79 لمحاربة رتبيل ملك كابل فخرج في جيش كبير لملاقاة رتبيل واستطاع أن يدفعه خارج كابل إلا أنه اضطر لوقف القتال حتى يريح الجنود ويأتيه المدد. ولكن الحجاج لم يقنع بذلك وأرسل اليه ان يلاحق رتبيل، وقد كان بين

[1] البداية والنهاية ج8 ص330

الحجاج وبينه حزازات، فاعتبرها بن الأشعث اهانة له، واعتبرها جنوده طريقة لإبعادهم عن العراق، فخلعوا الحجاج، وبايعوا بن الأشعث، الذي عقد معاهدة مع رتبيل أن يعفيه من الجزية إن انتصر على الحجاج، وأن يحميه إن انهزم. ثم سار بن الأشعث لملاقاة الحجاج، وهزمه أولا واستولى على البصرة ثم أرجعها الحجاج، ثم استولى على الكوفة ثم تواجها في دير الجماجم حيث وقت حرب ضروس هزم فيها بن الأشعث وفرّ إلى رتبيل الذي سلّمه بعد إلى الحجاج فلما علم بن الأشعث بذلك قتل نفسه! بعد ثورة دامت أربع سنوات (81-85).

18. سياسة عبد الملك الخارجية:

a. **الجبهة الشرقية**: لم يكن هناك جهد حقيقيّ حتى تولى الحجاج وبعث المهلب أولا ثم مسلم بن قتيبة الباهلى عام 86.

b. **الجبهة البيزنطية**: عقد عبد الملك صلحا مع البيزنطيين خلال فترة حروبه الداخلية لتوطين خلافته. ثم نقض جستنيان الثاني العهد فاجتاح بلاد الشام عام 70هـ. ثم ما زالت الهجمات تتبادل بين البيزنطيين وعبد الملك منذ 73 حتى 85 وذلك بعد أن ضرب عبد الملك العملة الإسلامية بدلا من البيزنطية. وأخيرا تفوق المسلمون على البيزنطيين بقيادة عبد الملك شخصيا، وعادوا للإستيلاء على أرمينية وآسيا الصغرى.

c. **شمال أفريقيا**: مرت فتوحات هذه المنطقة بمرحلتيها الخامسة والسادسة. ففي المرحلة الخامسة، قادها زهير بن قيس الذي انتصر على كسيلة الذي ارتد بعد دخوله في عهد المسلمين في عهد معاوية. وقد قتل كسيلة ولكن زهير بن قيس قتل كذلك. ثم في المرحلة السادسة، تقلى حسان بن النعمان القيادة فحقق انتصارات كثيرة. إلا أنّ أمرأة يهودية تدعى الكاهنة وحدت البربر والبيزنطيين تحت ولايتها وهزمت المسلمين عدة مرات فقبع حسّان ينتظر المدد من عبد الملك. وأخيراً جاءه المدد وكان البربر والبيزنطيين أرهقوا من حكم الكاهنة ففارقوها والتحقوا بالمسلمين، حتى هزمها حسّان وقتلها لعنة الله عليها. وقد حاول البيزنطيون أن يستعيدوا قرطاجنة من أيدي حسان إلا أنهم فشلوا في ذلك وهدمها حسان وبنى قريبا منها "تونس".

19. سياسة عبد الملك الإدارية: اشتملت إدارته على خمسة دواوين: البريد، الخاتم، الجند، الخراج والرسائل.

a. **تعريب الإدارة:** عرّب عبد الملك الدواوين وجعل اللغة العربية التي هي لغة القرآن لغة التعامل في الدولة وهو ما سهّل دخول الناس في الإسلام وصبغ الدولة الأموية بصبغة عربية محضة.

b. **تعريب النقد:** أصدر عبد الملك نقدا إسلاميا لتوحيد التعامل في أرجاء الدولة عام 74، كما غيّر طريقة عمل القراكيس الكتابية التي كانت تحمل التثليث إلى أن تحمل سورة التوحيد. وهذا ما قوي الدولة الأموية وحرر اقتصادها.

20. وفاة عبد الملك وتولي ابنه الوليد: كان المفروض أن يتولى عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك بعد أخيه حسب توصية مروان، إلا أنه مات قبل عبد الملك، فأخذ عبد الملك البيعة لإبنه الوليد بن عبد الملك. ثم توفي عام 86.

الوليد بن عبد الملك (86-96):

1. ولي الوليد الحكم وكان تقيا ورعا قرّاءا للقرآن
2. كان مهتما بالعمارة فوسّع المسجد النبوي حين كان عامله على المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن عبد الملك. وأقام المسجد الأموي في دمشق وأنفق فيه الأموال الطائلة.
3. **سياسته الداخلية:**

1. المشرق بين 85 و95:

i. فيما وراء النهر

1. كانت هناك ممالك عديدة غير مستقرة شرقا من خراسان وكان عدم الإستقرار يهدد الأمن الإسلامي، مما أدى إلى غزر هذه الأماكن.
2. أرسل الخليفة التعليمات للحجاج أن يعمل على فتح هذه الأماكن فعين قتيبة بن مسلم، أحد الفاتحين العظام. ففتح طخارستان ثم عاد وقاتل من خرج منهم وأعاد الإستقرار هناك.
3. فتح قتيبة بخارى بعد 3 سنوات من الحرب. ثم فتح سمرقند وأدى ذلك إلى نقل صناعة الورق إلى الدولة الإسلامية ثم منها إلى اوروبا في العصور الوسطى.
4. فتح بعدها الشاش وفرغانة ثم جاءه نعي الحجاج مما أضعف من معنوياته.
5. مات الحجاج عام 95، زقد روى عنه أنس بن مالك عن عبد الملك عن مروان عن عثمان بن عفان. وكان فصيحا بليغا قارئا للقرآن وكان سريع الولوغ في الدماء، ومن الأعلام الذين قتلهم سعيد بن جبير من أعلام التابعين بعد أن خلعه مع بن الأشعث.
6. مباحثات مسلم مع الصين وعدم غزوها.

ii. السند:

1. تولى فتحها محمد بن القاسم، وكان في العشرين من عمره. ووصل إلى الهند وقاتل فيها.

2. واصل محمد الفتوحات إلى أن أتم فتح كافة إقليم السند وتجهز لغزو كنوج ولكن جاءه نعي الحجاج ثم الوليد فتوقفت الفتوحات.

2. الجبهة البيزنطية:

i. كانت سياسة الوليد كسياسة أبيه، لإضعاف الدولة البيزنطية، فأرسل الجيوش بقيادة مسلمة بن عبد الملك، أخيه، والعباس بن الوليد ابنه، للتغلغل في الدولة البيزنطية، خاصة وأن البيزنطيين عانوا من الإنقسام الداخلي، ثم مات الوليد وجاء سليمان، وكذلك أختير ثيودوسيوس ملكا على البيزنطيين.

3. شمال أفريقيا:

i. بعد جهود حسان بن النعمان، تم تعيين موسى بن نصير، مقاتل بطبعه، ومعه أربعة من أولاده.

ii. دعم موسى بن نصير الوجود الإسلامي في المغرب وواصل فتح كافة المدن في الجنوب والغرب. ثم بدأ غزو الأندلس.

4. فتح الأندلس:

i. حالة الأندلس السياسية:

1. كانت تحت الحكم البيزنطي عدة قرونن ثم سيطر عليها الوندال الألمان، ثم قبائل القوط في القرن السادس الميلادي.

2. كان هناك صراع على السلطة بين أخيلا بن الملك وبين لذريق أحد قواد الجيش للإستيلاء على السلطة.

ii. حالة الأندلس الإجتماعية:

1. كانت الحالة سيئة للغاية حيث كان هناك العديد من الطبقات:

a. رجال الدين: أصحاب ثروات لا يلتزمون بقيمهم

b. الطبقة الوسطى: صغار الملاك مثقلون بالضرائب

c. طبقة الشعب الدنيا: كأنهم عبيد لأصحاب الأرض

d. اليهود: مكروهون لإستغلالهم الناس بالربا واختلاف العقيدة، فعانوا الإضطهاد الشديد فقرروا الإستعانة بالمسلمين.

iii. حالة الأندلس الدينية:

1. كان اقسس على المذهب الكاثوليكي يضطهدون كل من عداهم من الإعتقادات.

iv. الفتح الإسلامي:

1. تحالف يوليان حاكم سبتة مع أخيلا لإستعادة الحكم وقد وجدوا في المسلمين حليفا قوياً.
2. أرسل طارق بن زياد عامل موسى بن نصير على طنجة يسأله التصريح بالتقدم للأندلس، وموافقة موسى بن نصير على ذلك بعد استشارة الخليفة الوليد.
3. تقدم طارق بقوة قوامها سبعة آلاف فأحرز انتصارا كبيرا ثم لحقه موسى بن نصير بقوة قدرها 18 ألف، وأطبقوا على البلاد بشكل الكماشة وفتحوا معظمها والتقوا في طليطلة عاصمة القوط واستقبل طارق موسى حين دخوله لها.
4. تحكى الروايات خلافا بين طارق بن زياد وموسى بن نصير ولكن هو من قبيل اختلاف وجهات النظر.
5. توقف الزحف بأمر الخليفة وعاد موسى بن نصير إلى دمشق.

4. وفاة الوليد وتعيين سليمان:

1. أراد الوليد أن يخلع سليمان أخاه ويعينابنه عبد العزيز ولكن لم يجبه أحد إلى ذلك، واشار عيه الحجاج ومسلم بن قتيبة أن يجعل سليمان يخلع نفسه، ولكنه مات قبل ان يتم له ذلك.

سـليمان بن عبد الملك (96-99):

1. كان أفضل أولاد عبد الملك، وكان تقيا ورعا فصيحا نشأ بالبادية وأحب الغزو. روى حديث الإفك عن ابيه عن جده عن عائشة. وقد كان واليا على فلسطين لأخيه الوليد. وأخذ عمر بن عبد العزيز بن عمه له البيعة في دمشق.

2. السياسة الداخلية:

a. كان سليمان متدينا ورغب في أن يوطد دعائم دكمه بأن يغيّر من أسلوب الحكم السابق الذي اعتمد على أمثال الحجاج، فعزل كثيرا من العمال مثل قتيبة بن مسلم، وموسى بن نصير ومحمد بن القاسم، وعين بدلا منهم ولاة آخرون بدعم من عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة.

b. أطلق سراح آلاف من معارضي الحكم الأموي كما زاد العطاء مما جعل المسلمون يثنون على حكمه.

c. انتهى الحال بالفاتحين العظام في أيام الحجاج والوليد إلى أن توفوا بشكل محزن، فقد قتل محمد بم القاسم على يد عامل الخراج في العراق، وقتل قتيبة بن مسلم بعد أن خلع الخليفة لظنه أنه سيعزله، فقتله أتباعه. أما موسى بن نصير فقد حوسب على بعض مخالفات ارتكبها ثم عفي عنه وحج مع الخليفة ومات في الطريق.

d. بدأت في عهده الدعوة العباسية على يد محمد بن عبد الله بن العباس.

3. السياسة الخارجية:

a. الجبهة الشرقية:

i. لم يتم أي فتح جديد في هذه الجبهة حيث استغل الخليفة بقمع الثورات بعد أن توقف الزحف لما حدث للفاتحين الأوائل.

b. الجبهة البيزنطية:

i. اهتم الخليفة بفتح القسطنطينية، فأرسل بعثة بقيادة عمر بن هبيرة الفزاري، ثم الحقها بجيش كبير بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك وهو من ألمع القواد العسكريين.

ii. بنى جيشا بحريا كبيرا قوامه 1800 سفينة.

iii. تحرك الجيش عام 98 لغزو القسطنطينية. حاصر عمورية واتفقعلى خطة مع واليها على أن يصبح الملك على البيزنطيين بعد فتحها.

iv. تمكن ليو من أن يصبح الإمبراطور فتنكر لإتفاقه مع المسلمين وقاوم الجيش الذي حاصر القسطنطينية من البر والبحر.

v. قاوم البيزنطيون مقاومة عنيفة واستطاعوا أن يحرقوا عددا كبيرا من السفن، ثم جاء شتاء قارس.

vi. رفع المسلمون بقيادة مسلمة الحصار عن القسطنطينية عام 99 وعاد إلى دمشق، ودمر البيزنطيون غالب السفن المسلمة إلا عشراً.

4. وفاة سليمان وأخذ البيعة لعمر بن عبد العزيز:

a. مات داود بن سليمان قبل وفاة أبيه، وكان على رأس جيش يغزو القسطنطينية، فعهد سليمان بالأمر لعمر بن عبد العزيز بن عمه على أن تؤول الخلافة بعدها إلى أخيه هشام بن عبد الملك. وتوفي سليمان وهو مرابط في سبيل الله في قنسرين.

عـمر بن عبد العزيز (99-101):

1. **قبل ولاية العهد**: هو بن عبد العزيز بم مروان، وأمه هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فهو حفيد عمر بن الخطاب. كان عمر بن عبد العزيز قبل توليه العهد شاباً منعّماً للغاية، تشترى له الحلة بألف دينار، إذ هو سليل ملوك، وقد كان متديّنا ورعا حتى في شبابه، وقد طلب من والده عبد العزيز الذي كان واليا على مصر لأخيه الوليد، أن يرسله إلى المدينة يتفقه على علمائها وفقهائها من التابعين. رافق التابعي الجليل رجاء بن حيوة، وهو الذي كان يقول فيه مكحول، إمام أهل الشام بلا منازع: سيدنا وشيخنا، كما عاصر كبارا مثل عطاء بن أبي رباح التابعيّ الجليل. وقد أخذ العلم عن الكثير من تابعيّ المدينة. وقد زوّجه عمه عبد الملك ابنته فاطمة وولاه على مدينة بالشام. وفاطمة هي الوحيدة التي قيل في نسبها:

بنت الخليفة والخليفة جدّها ** أخت الخليفة والخليفة زوجها

ثم ولاّه الوليد بن عمّه إمارة المدينة. بدلا من هشام بن إسماعيل المخزوميّ الذي كان سيئ السيرة في أهلها، فأحسن لهم عمر وأقام العدل ورد المظالم مما جعل المدينة موئلا للمظلومين الفارّين من ظلم الحجاج. وهذا ما جعل الحجاج يشكو للوليد فعزل الوليد عمر، فلم يتول أي عمل من بعدها للوليد حتى تولى سليمان بن عبد الملك بن عمّه، فقربه منه واعتمد عليه ورجاء بن حيوة، لدينهما ودينه. لذلك عزل الكثير من عمال الحجاج بناء على توصيتهما. ثم حين مات سليمان، أخذ رجاء خطاب التوصية وجمع بني أمية وأخذ بيعتهم لمن سميّ في الخطاب، فبايعوا ثم أعلن عن بيعة عمر بن عبد العزيز.

2. **عمر الخليفة**: روى أبي داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"، قال أحمد هو عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى. كانت تولية عمر الخلافة نقطة تحول في تاريخ عمر وفي تاريخ الأمويين وفي التاريخ الإسلاميّ كله. تحول عمر من حياة الرفاهية إلى حياة الزهادة والخشونة، حتى أنه طلب من زوجته فاطمة أن تبيع حليها وتتصدق بثمنها في سبيل الله. ومن كلماته: لو أن المرء لايأمر بالمعروف ولا ينهعن المنكر حتيحكم أمر نفسه، لتواكل الناس الخير، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة". وكان يكثر من قول: اللهم سلّم سلّم" ويكثر البكاء. وقرأ رجل يوما عنده "وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين" بكى بكاء شديدا ثم قام فدخل بيته وتفرق الناس. والخلاصة أنه كان في غاية الخشية والورع.

كانت سياسته العامة تتمشى مع رؤيته للدنيا ودور المرء فيها ودور الحاكم فيها. فعمل على إصلاح ما اعوج أيام خلفاء بني أمية قبله:

السياسة الخارجية: أمر بانسحاب عمه مسلمة بن عبد الملك من حصار القسطنطينية، ليصرف الجهد في الحفاظ على المكتسبات الإسلامية، وأن يدعو غير المسلمين بالطرق السلمية.

1. **السياسة الداخلية:**

a. ترك لعن علي على المنابر واستبدل ذلك بقول: إن الله يأمر بالعدل والإحسان..." وبهذا أعاد الصلاح والتقارب بين المسلمين.

b. انفتح على الخوارج فأرسل إلى شوذب الخارجيّ ليناظره، واقنع عدد من الخوارج بالعودة لحظيرة الجماعة، ومن تبقى اقتنعوا بعدم الخروج المسلح على الخلافة.

c. عمل على نشر الدعوة بين غير المسلمين، بل وتألف بعضم بالمال، وكتب إلى الإمبراطور ليو البيزنطي يدعوه للإسلام ولكنه مات قبل أن يأتيه الرد.

d. كان من العالمين بفائدة الإدارة الرشيدة، فغير الكثير من الوسائل الإدارية التي سادت أيام الخلفاء من قبله، مما يساعد على توفير الوقت والمال وسرعة التصرف وكان من وسائله في ذلك تعيين الأكفاء من الولاة والعمال والقضاة على قدر كفاءتهم لا ولائهم للخليفة أو الوالي. وكان مع ذلك يتابع أعمالهم وأمرهم بأن يأخذوا الناس بالسنة لا بالتهمة والشبهة كما فعل الحجاج وعبيد الله واباه زياد من قبل، وهو ما دفعه إلى تبديل العمال والولاة الذين تخرجوا في مدرسة هئلاء الطغاة في الإدارة. وعيّن على المدينة محمد بن عمرو بن حزم.

e. من أهم الأمور التي قام بها عمر هو أنه ألغى ما كانت عليه السياسة من قبل أن يستمر في دفع الجزية المسلمون الجدد الذين كانوا من أهل الجزية قبل إسلامخهم. وقد كانت هذه السياسة تتبع لتكثير موارد الدولة المالية رغم مخالفتها للإسلام. وهو ما ساعد على نشر الإسلام وقبول الناس له قبولا حسناً، كما أنه لم يستعمل كلمة الموالي "غير العرب" بل استعمل كلمة المسلمون عامة ليرفع عن هؤلاء ما يمكن أن يعيروا به، وأن يجعل الإسلام هو اساس المئاخاة. ولمّا شعر الولاة بنقص موارد الدولة نتيجة هذه السياسة، كتب لهم: إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعيا وليس جابيا".

f. أمر ببناء خانات على مسارات الطرق (بيوت استراحة) ليأوي اليها المسافرون ليأكلوا ويستريحوا ويعتنى بدوابهم، ويطعم منهم من ليس معه مال، ويحمل من ليس عنده دابة بلا مقابل (like the AAA and rest houses but for free).

g. **بدء دعوة بني العباس**: وقد كان بنو هاشم انقسموا إلى فسمين، قسم من أبناء علي وأبنائه وهم العلويون، وقسم من أبناء عبد الله بن العباس وهم العباسيون وقد ظلوا طوال هذه الفترة في المدينة وهم أقارب كلهم يقال لهم أهل البيت إذ أن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا العصر كانت

قيادة الشيعة[2] قد آلت إلى أي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية المعروف بالمهدي[3] الذي مات عام 98 ولم يكن له عقب فآلت قيادة أهل البيت إلى أكبرهم سناً وهو عليّ بن عبد الله بن عباس ومن بعده إلى ابنه محمد بن عليّ. وفي العام 100، أرسل محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس رسلا إلى رجالا في خراسان يدعوهم لأهل بيت العباس فاستجاب عدد منهم وسرّه ذلك فاختار سبعين نقيبا تفرقوا في القبائل يدعون له بعد أن بانت دلائل الضعف على الدولة الأموية خاصة بعد وفاة عمر رضى الله عنه.

h. ومات في هذا العام مجاهد بن جبير المكي المخزومي علم أعلام المفسرين، وهو الذي امسك عبد الله بن عمر بركابه وقال: أود لو أن ابني سالما وغلامي نافعا يحفظون حفظك.

وفاة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عام 101هـ: توفي عمر وهو في التاسعةوالثلاثين من عمره، قيل مات مسموما وقيل مات بمرض السل. وقد كانت فترة حكمه راشدة قدم فيها الدليل على أن الحاكم يمكن أن يكون راشدا إن إراد وكان ذو توجه اسلامي صحيح. وقد كان له 12 ولدا فقيل له دع لهم شيئا يتقوون به على الدنيا: قال أتركهم لقضاء الله تعالى، فإن من كان منهم تقيا كفاه الله ومن كان منهم غير ذلك فلا أعينه على فسقه". وقد كان وجهه مبيضا حين الغسل خلاف وجوه الخلفاء من قبله. فرضى الله عنه وأرضاه.

يزيد (الثاني) ابن عبد الملك (101-105):

1. بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز كما كانت وصية سليمان بن عبد الملك، وكان عمره 34 سنة، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. وكان ضعيفا ينصرف إلى العبث واللهو وقد ساير خط القيسيين كماأقر سياسة عمر في أول الأمر.
2. **حركة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة**: أبوه المهلب بن أبي صفرة اليمني حارب على الجبهة الشرقيى أيام معاوية رضي الله عنه، كما حارب مع عبد الله بن الزبير الخوارج الأزارقة وانتصر عليهم، وحاربهم في أيام عبد الملك بن مروان ثم توجه إلى الشرق. كانت هناك حزازات بين الحجاج وبين يزيد بن المهلب أدت إلى عزل يزيد عن ولاية خراسان. ثم أعيد إلى حكم العراق والشرق في عهد سليمان بن عبد الملك. وفي عهد عمر بن عبد العزيز تم عزله لتناقض سياسة بني المهلب التي تقوم على الأرستقراطية العربية مع نهج عمر بن عبد العزيز. وقد فر يزيد من سجنه في أواخر عهد عمر، واستولى على البصرة وبدأ في اثارة القلاقل، كما رفض أن يخرج إلى خراسان كما نصحه أخوه حبيب بن المهاب. ثم استفحل أمره وساد الكوفة وفارس والأهواز وكاد أن يسيطر على كل العراق ورفع شعار الجهاد ضد أهل الشام (اصحاب الحجاج). ولم يتمكن يزيد بن المهلب من السيطرة على خراسان لعدم مناصرة قبيلته الأزد له لرضائهم عن سياسة وعمر واعتقادهم أن يزيد بن عبد الملك سيسير فيهم بسيرته. أرسل الخليفة مسلمة بن عبد الملك فواجه يزيد بن المهلب في مكان يقال له العقر بجنود لا قبل له بها وقتله ثم تحرك معاوية بن يزيد بن المهلب لمّا سمع بمقتل أبيه فقتل عددا من أسراه فيهم عدي بن أرطأة رحمه الله، فجمع بقية أهل المهلب وفيهم المضل بن

[2] وهم الشيعة الكيسانية الذين خرجوا في عهد المختار الكذاب ودعوا لمحمد بن الحنفية ورئيسهم بعد المختار عمرو بن كيسان.

[3] ويذكر المئرخون قصة لقاء سليمان بن عبد الملك بأبي هاشم ثم دس السم له وهي غير صحيحة بل التقى بهشام بن عبد الملك أخو الخليفة.

المهلب عمه وخرج بهم إلى كرمان ثم تقاتلوا مع جيش أرسله مسلمة وقتلوا وقضى على الحركة. وتولى مسلمة العراق وخراسان لأخيه يزيد.

3. **السياسة الخارجية**: وقد سار يزيد على نهج عمر في درء الأعداء والتوقف عن امتداد الفتح، وقد كانت هناك بعض الوقعات بين المسلمين والترك الديلم والبيزنطيين.

4. وتوفي في عهده عام 104 عامر بن شراحيل الشعبي الذي وقف ضد المختار في الكوفة وكذبه،وكان إمام أهل الكوفة بلا منازع وعلم من أعلام أهل السنة.

5. **وفاة يزيد بن عبد الملك**: ولي يزيد أخاه هشام بن عبد الملك على أن يتولى ابنه الوليد بن يزيد بعده حيث أن عمره كان وقتها 15 عاما. وتوفي يزيد عن عمر 38 عاما، وكان ضخم الجثة أبيض طويل القامة.

هشام بن عبد الملك (105-125):

1. كان عمر هشام 34 عاما حين تولى الخلافة وعمر فيها زهاء عشرين عاما. وكان حازما عاقلا حكيما عالما بفنون الإدارة فأصلح من أمور الدولة كثيرا وأوقف تدهورها إلى حين. وكان أمينا على أموال الله يجمعها بحقها وينفقها بحقها.

2. بدء تبديل الولاة الذين لم يرض عن أحوالهم فعزل عن العراق وخراسان عمر بن هبيرة الفزاري وعين مكانه خالد بن عبد الله القسريّ. كما غير والي المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري ووضع مكانه بن خاله إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي.

3. **أحوال الدولة في عهد هشام:**

a. **العلويون**: ساد الكوفة هدوء متحفز نتيجة لسياسة عبد الملك والحجاج العنيفة والتي لم تقض عليهم تماما. وقد انضم أنصار المختار إلى العلويين حتى زمن هشام وتزعم زيد بن على بن الحسين بن علي[4] الشيعة في هذا الوقت، وحاول هشاماً ن يقبض عليه بتهمة أكل وديعة ولكنه برء منها وعاد إلى الكوفة ليدعو لنفسه. وقد كان أخوه محمد بن علي بن الحسين بن علي أبو جعفر المعروف بالباقر تابعي جليل غزير العلم وكان أحد أعلام الأمة روى عن عدد من الصحابة وروى عنه كثير من تابعي التابعين منهم ابنه جعفر الصادق، وهي السلالة التي خرجت منها الشيعة الإثني عشرية. وكان ثقة كثير الحديث ومات عام 115 في عهد هشام. أما زيد بن علي فهو رأس الشيعة الزيدية، وكان عالما فقيها ورعا. وقد أراد أن يخرج إلى المدينة ليعيش فيها إلا أن أهل الكوفة – كعادتهم – خرجوا وراءه في أربعين ألفا وأقنعوه أن يعود معهم وأنهم يخرجون معه. فعاد واجتمعوا حوله، إلا أن والي العراق يوسف بن عمر أمر الحكم بن أبي الصلت عامله على الكوفة أن يجمع الناس عشية خروج زيد وأن يهددهم ويتوعدهم إن خرجوا وحبس بعضهم، وتكررت مأساة الحسين مع

[4] راجع ج9ص329 البداية والنهاية

حفيده زيد- وخذلته الكوفة واضطر أن يواجه قوات الوالي في 280 من اصحابه قم قتل رحمة الله عليه. وكان أن كوّن اتباعه فرقة الزيدية التي اتخذت اتجاها فقهيا أكثر منها عسكريا.

b. **الجبهة الشرقية**: واجه هشام المصاعب على هذه الجبهة نتيجة تخاذل الكثير من الولاة عن القتال بعد أن استمرت حركة توقف الجهاد لعدة سنوات في عهد سليمان وعمر والوليد. وقد أدت سياسة رفع الخراج عمن أسلم حديثا إلى تقليل الخراج، فحاول الوالي أن يضع الخراج عليهم مرة أخرى ولكن هذا جعل الموالي ينضمون إلى الأتراك وطردوا المسلمين من أماكن كثيرة منها بخارى. ثم استطاع هشام أن يستعيد بخارى ولكن كان لابد من إحداث تغييرات كثيرة في نظم الإدارة في المشرق. وقد أخرج عدد من القبائل العربية التي رفضت القتال من مرو مما جعلهم يتمردون بقيادة **الحارث بن سريح**[5]. ثم ضم هشام خراسان إلى العراق تحت قيادة خالد بن عبد الله القسري وولى عليها أخيه أسد. وقد انتصر أسد على الأتراك وعلى الحارث ثم مات فتولى بعده نصر بن يسار شيخ مضر، فوطد الوضع وجعل الخراج عن المسلمين وحمله غير المسلمين وجعل خراسان في رخاء وأمن واستقرار. ولكن سنرى – بعد وفاة هشام – أنه من المستحيل التوفيق بين العصبيتين العربيتين وأن متاعبه ستبدأ بعد وفاة هشام.

c. **جبهة أرمينيا وأذربيجان**: كانت هناك معارك كثيرة جعلت المسلمون يحجمون قوة الترك هناك.

d. **الجبهة البيزنطية**: حارب المسلمون على الجبهة البيزنطية في آسيا الصغرى وأقام هشام حصون عديدة لصد هجمات البيزنطيين. وتلاقى المسلمون والبيزنطيون في معركة شرسة بقيادة ليو الثالث وانتصر البيزنطيون نصرا كبيرا وكان هذا الصراع هو آخر لقاء بين البيزنطيون والمسلمين في عهد الدولة الأموية.

e. **شمال إفريقيا**: عاشت جبهة شمال إفريقيا عهدا من الأضطرابات بين عامي 122 -124 بسبب اشتطاط الأمويين في جباية المال، وكانت ثورات عارمة انتهت بالقضاء عليها واستتباب الأمر للأمويين.

f. **الأندلس**: تتابعت محاولات التوسع الإسلامي في اسبانيا وما وراءها:

1. **السمح بن مالك الخولاني**: وقد توغل فيما وراء مقاطعة سبتمانيا إلا أنه اصطدم بحاكم أوكتانيا وقتل في المعركة. واستطاع عبد الرحمن الغافقي أن ينسب بشكل مشرف عام 100.

2. **عنبسة بن سحيم**: عاد إلى مهاجمة سبتمانيا وتوغل في أوروبا حتى وصل إلى 100 ميل عن باريس، ولكنه هزم بجيش الفرنجة واستشهد عنبسة عام 107.

[5] والذي خرج معه الجعد بن درهم وقتله خالد القسري بعد

3. **عبد الرحمن الغافقي**: وهو من أشهر القواد الحربيين في جبهة الأندلس. وقد هاجم الدوق حاكم أوكنانيا الذي أوقف محاولة السمح من قبل. وبالفعل انتصر عليه ولجأ إلى الفرنجة. وبعد عدة مناوشات بين شارل حاكم الفرنجة الداهية والغافقي، التقي الجيشان في معركة شرسة هي معركة بلاط الشهداء وانتصر فيها شارل مارتل واستشهد الغلفقي ؤحمة الله عليه وعلى شهداء المسلمين جميعا. وبهذا توقف الزحف الإسلامي في أوروبا إلى يومنا هذا.

4. وفاة هشام بن عبد الملك: حاول هشام أن يولي ابنه مسلمة بدلا من الوليد بن يزيد ولكنه فشل في ذلك. توفي هشام عام 125 وتولى بعده الوليد بن يزيد.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الوليد الثاني) (125- 126):

1. وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وسليل الخلفاء. وتصف لنا كتب السير أنه عاش عيشة لاهية ويقال أن عمه هشام قد سّهل له ذلك كي يجعله ينسى المطالبة بالخلافة ويستطيع أن يعين ابنه مسلمة. والملاحظ أن المؤرخين الذين يرددون أغراض هشام، لا يمكن أن يوفقوا بين الشخصية العادلة الأمينة التي يرددونها عنه وبين مثل هذه الشخصية الشريرة التآمرة التي لا تبالي بأن تيسر سبل اللهو والمجون للوليد ليستأثر ابنه بالخلافة! وهذا التوفيق هو ما يعوز الكثير من مؤرّخوا الإسلام. ومما يدل على هذا أن الوليد قد انتهج سياسة عادلة وكان رحيما بالمسلمين. إلا أنه لابد وأنه كان بصفة شخصية ممن ينزع إلى اللهو خاصة وليس في حياته ما يصرف فيه جهده، وليس لدى هشام ما يدعوه لردعه. ولا شك أن هشاما قد حاول أن يأخذ البيعة لإبنه مسلمة، لكنه لم يفلح وهو مما يدل على أن الوليد لم يكن من السوء الذي يجعل من حوله يبيعونه لهشام.

2. وكان الوليد قيسيّ الهوى، فعزل خالد بن عبد الله القسري وسلمه إلى يوسف بن عمر الثقفي الذي حاكمه وقتله وكان هذا مما ألّب عليه العصبية اليمنية القوية.

3. **حركة يحي بن زيد بن علي بن الحسين**: خرج ضد الوليد في خراسان ولكن والي خراسان نصر بن سيّار سيّر جيشا وقتله في الأنبار عام 125.

4. **ثورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك**: هو بن عم الخليفة، وقد قاد العصبية اليمنية ضد الخليفة وسار إلى دمشق وانتصر عليه وقتله. وكانت هذه بداية انحلال بني أمية وأتي عبر عنها العباس بن الوليد بن عبد الملك بقوله: يا بني مروان، إني لأظن أن الله قد أذن في هلاككم".

يزيد بن الوليد بن عبد الملك (يزيد الثالث) (126- 127):

1. تولى يزيد بن الوليد الحكم ويده مخضبة بدماء بن عمه، فلم تصفُ له الخلافة، فخرج عليه العديد من بني أمية.

a. **سليمان بن هشام بن عبد الملك**: وكان قد سجن في عهد الوليد الثاني ولم يقد ثورة مسلحة ولكنه كان يلعن الخليفة في دمشق.

b. **يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية** (حفيد يزيد بن معاوية): وقد قاد ثورة في حمص إلا أن يزيد تغلب عليه وسجنه.

c. **يزيد بن سليمان بن عبد الملك:** خرج في أهل فلسطين ولكن انتصر عيه يزيد

d. **محمد بن عبد الملك**: خرج في الأردن ولكن انتصر عيه يزيد.

2. اتبع يزيد سياسة تغيير الورة فعزل يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جمهور، كما حاول عزل نصر بن سيّار عن خراسان ولكنه امتنع عليه، ولم يستطع الخليفة تبديله واستقل عن الدولة المركزية إلى حين.

3. **مروان بن محمد بن مروان بن الحكم**: وقد كان واليا على الجزيرة واذوبيجان وأرمينيا واشتد أمره حتى قرر عزل الخليفة. ولكن مات يزيد فجأة عام 127.

4. حين مات يزيد الثالث، قام أخوه إبراهيم بن الوليد، ولكن لم تتم له بيعة في خضم هذا الواقع الممزق أشلاءاً. ورفضه مروان بن محمد وأعلن تأييده لإبني الوليد الثاني الحكم وعثمان. وكانت عصبية إبراهيم يمنية وعصبية مروان قيسية.

5. زحف مروان إلى دمشق واستولى فيالطريق على العديد من المدن، فهرب إبراهيم من دمشق،

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (مروان الثاني - الجعدي) (127- 132):

1. كان مروان بن محمد من الخلفاء الأقوياء ذوي الهمة إلا أن الظروف التي كانت وصلت إليها دولة بني أمية لم يسمح له بأن يصلح أة أن يمنع من انهيار الدولة.

2. كان معلم مروان ومرشده الجعد بن درهم[6] (معلم الجهم بن صفوان مؤسس الجهمية).

3. نقل عاصمته إلى حرّان معقل القيسية عصبيته وهو ما جعله يخسر الشام كلها وما هو معروف من أن الشام هي درع الأمويين وحامية دولتهم.

4. **حمص**: خرج أهل حمص عليه بقيادة ثابت بن نعيم الذي كانت بينه وبين مروان حزازات، ولكن مروان انتصر على الحمصيين. ولكن ثابت توجه إلى فلسطين.

[6] يقوم مذهبه على الجبر ونفي الصفات وفناء النار والجنة وخلق القرآن وقد أرسله هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري فضحى به يوم العيد، وقد أخذ عنه مروان الثاني والجهم بن صفوان (الذي قتله نصر بن سيار بعد خروجه مع الحارث بن سريح)

5. **الغوطة**: وهي ناحية بدمشق، خرج فيها يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ولكن مروان استطاع أن ينهي الحركة وأن يقتل يزيداً.

6. **فلسطين**: وجه مروان جيش لملاقاة ثابت بن نعيم واستطاع ان ينتصر عليه وأن يقتله.

7. **الخوارج**: وكانوا قد استولوا على الكوفة والموصل ولكن مروان الثاني استطاع أن ينتصر عليهم وان يستعيد العراق والحجاز واليمن.

8. **الحركات العلوية:**

عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب (حفيد جعفر بن أبي طالب أخو علي): خرج عام 127 لقتال أهل الشام في الحيرة، ولكن كعادة الشيعة فروا من المعركة واستطاع أن ينسحب إلى فارس حيث أعاد تجميع قواته التي لم تكن متجانسة، لا يجمعها إلى العداء لمروان الثاني. وهزمته قوات مروان الثاني ففر إلى سجستان ولكن أبي مسلم الخراساني (داعية العباسيين) قتله.

9. **عبد الله بن عمر بن عبد العزيز**: وكان واليا على العراق. واشتدت شوكته واعتمد على العصبية اليمنية التي ساءها اعتماد الخليفة على القيسيين، فأرسل مروان الثاني جيشا لقتاله، ولكن خروج الخوارج الذين احتلوا الكوفة والموصل اضطره أن يرسل الجيوش لإيقاف زحفهم.

10. **سليمان بن هشام بن عبد الملك**: حاول سليمان أن يوقف زحف مروان في نهاية عصر يزيد بن الوليد، إلا أنه لم يفلح، ثم عفا عنه مروان لإظهار وحدة الصف الأموي، ولكن بعد توجه مروان لملاقاة الخوارج في العراق، خرج عليه سليمان مرة أخرى وخلع بيعته واجتمع له جند غفير فحاربهم مروان وانتصر عليهم وفر سليمان إلى العراق والتحق بحركة الضحّاك الخارجيّ. وقد كان الضحاك قد صالح بن عمر على أن يتركه في الكوفة وأن يتوجه لقتال مروان فإن فاز تبعه بن عمر. فخرج الضحاك ولاقى جند مروان وقتل ليلا دون أن يعلم أهل معسكره عام128.

أسباب سقوط الدولة الأموية:

1. **الصراعات داخل البيت الأموي:**

   a. المنافسة السفيانية والمروانية.

   b. خروج عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان.

   c. خروج الوليد بن يزيد بن عبد الملك على يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

d. قتل الخليفة يزيد، وخروج سليمان بن هشام بن عبد الملك، ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية، ويزيد بن سليمان بن عبد الملك على الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

e. خروج محمد بن عبد الملك بن مروان على يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

f. خروج مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على يزيد بن الوليد.

g. خروج عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على مروان بن محمد

h. خروج سليمان بن هشام بن عبد الملك على مروان بن محمد.

2. **توارث السلطة.**

3. **التوصية لأكثر من خليفة.**

4. **العصبية العربية ضد الموالي** وأثرها السياسي والإقتصادي والإجتماعي.

5. **العصبية القبلية** (اليمانية ضد القيسية)

6. **الخلافات المذهبية بين:**

a. الأمويين من أهل السنة

b. العباسيين والعلويين من الشيعة

c. الخوارج الذين لا ينتمون لأي منهما.

الدعوة العباسية:

غروب شمس الأمويين وقيام دولة الخلافة العباسية:

a. سميت الدولة العباسية بهذا الاسم، نسبة إلى العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فمؤسس الدولة العباسية وخليفتها الأول هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله، وقد اشتهر أبو العباس بأبي العباس السفاح لأنه قال في خطبة تنصيبه "أنا الثائر المبيد وأنا السفاح" وتعني في العربية المعطاء الفصيح.

b. ظهور دعاة العباسيين:

اعتمدت الدعوة العباسية على السرية التامة في بداياتها نتيجة ما حدث من مآسي أهل البيت. وقد طوروا هيكل للدعوة أصبح من أشهر الطرق التي استخدمت فيما بعد لنظر الدعوات الأخرى[7].

عندما ضعفت الدولة الأموية، تطلع الناس إلى رجل يعود بالأمة إلى الجادة والطريق الصحيح، يرفع عنهم الظلم، ويقيم فيهم العدل، ويرهب بهم الأعداء، فحسبوا أن أصلح الناس لهذا الأمر، رجل يكون من بنى هاشم، فكتبوا[8] فى هذا الشأن إلى "أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب" أحد العلماء الثقات، وكان مقيمًا بالشام قريبًا من مركز الخلافة الأموية.. وما لبث أمر تلك المكاتبة أن وصل الخليفة الأموى "سليمان بن عبد الملك"، فخشى أبو هاشم على نفسه -وكانت قد تقدمت به السِّنّ- بطش الخليفة، فانتقل إلى "الحميمة" من أرض الشام؛ حيث يقيم عمه "عليّ السَّجَّاد بن عبد الله بن عباس"، وهناك حضرته منيته ولم يكن له عقب، فأوصى إلى "محمد بن على بن عبد الله بن عباس" بما كان من أمر الناس معه، ودفع إليه الكتب التى كتبوها إليه، وقال له: أنت صاحب هذا الأمر، وهو فى ولدك. ثم مات، وكان ذلك فى خلافة سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ/ 718م. وهذا أول انتقال الدعوة من العلويين إلى العباسيين[9].
وأخذ محمد العباسى فى تنفيذ ما أوصاه به أبو هاشم، فاتصل بالناس، واختار من بينهم دعاة يخرجون وينتشرون فى ربوع الدولة الأموية، يشهرون بها وينتقدون عيوبها، ويدعون إلى ضرورة أن يتولى أمر الخلافة رجل من آل البيت قادر على أن يملأ الأرض عدلا، ووجدت تلك الدعوة صدى عند الناس ورواجًا.
ويموت محمد بن على بن عبد الله بن عباس سنة 124هـ/742م، بعدما أوصى ابنه إبراهيم الملقب بالإمام بمواصلة المسيرة.

c. إبراهيم الإمام:

وتأخذ الدعوة العباسية عند إبراهيم الإمام صورة أخرى غير التى كانت عليها قبل ذلك، فهى لم تكن منظمة، أما الآن فقد صار لها نظام، وقادة معلومون، من أمثال أبى سلمة الخلال[10] على الكوفة، وأبى مسلم الخراسانى على خراسان. كما اتخذت الحميمة مركزا لها.
وما تكاد سنة 129هـ/ 747م، تقبل حتى يصدر أمر الإمام العباسى "إبراهيم بن محمد" أن يكون "أبو مسلم الخراسانى" رئيسًا للدعاة جميعًا فى خراسان وما حولها وهو خراساني الأصل بعد أن اعتذر غيره، وكلَّفه أن يجهر بالدعوة للعباسيين علنًا، وأن يعمل

---

[7] النقباء، النظراء، الدعاة، دعاة الدعاة، العمال.
[8] والذي كتب هو عبد الله بن كيسان، أحد قواد المختار الكذاب وهو الذي تولى مبايعة أبناء بن الحنفية بعد المختار.
[9] وينكر هذه القصةالعديد من المؤرخين ويجعلونها مختلقة لتبرير استيلاء العباسيين على السلطة، وهو ما يؤكدونه بأن أبي هاشم قد استدعاه هشام بن عبد الملك لا سليمان.
[10] ولكن هوى أبي سلمة الخلال كان مع العلويين فلمّا ظهر أبو العباس السفاح أمر أبو مسلم بقتل الخلاّل لخيانته.

على جعل خراسان قاعدة للانطلاق بقواته ضد البيت الأموى.

d. انتقال الخلافة إلى العباسيين:

صدر الأمر إلى أبى مسلم بالجهر بالدعوة للعباسيين فى عهد آخر خلفاء بنى أمية "مروان بن محمد"، ولم يلبث أبو مسلم أن دخل "مرو " عاصمة خراسان، وكاد أن يستولى عليها إلا أنه لم يتمكن من ذلك هذه المرة، وهنا أسرع الوالى على خراسان من قبل بنى أمية، وهو "**نصر بن سيار**" يستغيث بمروان بن محمد ويطلب منه مددًا، وينبه رجال الدولة إلى الخطر المحدق فيقول:

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَميضَ نارٍ	**ويُوشِكُ أن يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ**
فإن النــارَ بالعودين تُذْكــى	**وإن الحربَ مبدؤها كــلامُ**
فقلت من التعجب ليتَ شِعرى	**أأيقاظ أميــة أم نيــام؟**

ولم يهتم بنو أمية بهذا الأمر بسبب انشغالهم بصراعات أنصارهم القدماء بالشام، وانشقاق زعماء الأمويين على أنفسهم، ولم يمدُّوا واليهم على خراسان بشىء، فأدرك أبو مسلم الخراسانى أن الوالى الأموى لن يصبر طويلا، وأن "مرو" ستفتح يومًا ما قريبًا، فأخذ يجمع العرب من حوله، ثم انقضَّ بهم على "مرو" ففتحت له، وهرب واليها "نصر بن سيار" وكان ذلك سنة 130هـ/ 748م.

وواصل أبو مسلم فتوحاته، فدانت له "بلخ" و"سمرقند" و"طخارستان" و"الطبسين" وغيرها، وتمكن من بسط سيطرته ونفوذه على خراسان جميعًا، وراح يتطلع إلى غيرها، وكان كلما فتح مكانًا أخذ البيعة من أهله على كتاب الله-عز وجل-وسنة نبيه "وللرضا من آل محمد"، أى يبايعون إمامًا مرضيًا عنه من آل البيت من غير أن يعّيِّنهُ لهم. وسمى نفسه "امير آل محمد" وكان نفوذه لا يبارى في المشرق وكان مثالا لمن جاء بعده من الدول التي اعتمدت على الموروث المجوسي مثل البرامكة وآل طاهر والبويهيين. ولذلك إختار الإمام إبراهيم قحطبة بن شبيب، شخصية عربية لتقود الثورة في العراق العربي. وانتصر قحطبة على نصر بن سيار إلا أنه انهزم أمام يزيد بن هبيرة الأموي، ثم انتصر عليه أبي سلمة الخلال وذخل الكوفة.

والواقع أن بنى أمية لم يجدوا الوقت للإنصراف للقضاء على حركة بني العباس لأنشغالهم بحربهم الداخلية، لا يعلمون من أمر القيادة الرئيسية لهذه الدعوة العباسية شيئًا، ولما وقع فى يد الخليفة (مروان بن محمد) كتاب من "الإمام إبراهيم العباسى" يحمل تعليماته إلى الدعاة، ويكشف عن خطتهم وتنظيمهم، كان منشغلا بتوطيد سلطانه المتزعزع وقمع الثائرين ضده، واكتفى الخليفة "مروان بن محمد" بأن أرسل إلى القائم بالأمر فى دمشق للقبض على الإمام "إبراهيم بن محمد" "بالحميمة" وإيداعه فى السجن، وتم القبض عليه وأودع السجن، فظل به حبيسًا إلى أن مات (ويقال أنه قتل) فى خلافة مروان بن محمد سنة 132هـ/750م. ولما علم "إبراهيم" بالمصير الذى ينتظره،

وعلم أن أنصاره ومؤيديه قد واصلوا انتصاراتهم، وأن الكوفة قد دانت لهم وصارت فى قبضتهم أوصى لأخيه "**أبى العباس**" بالإمامة طالبًا منه أن يرحل إلى الكوفة ومعه أهل بيته؛ لينزل على داعى العباسيين بها وهو "أبو سلمة الخلال" فهناك يكون فى مأمن من رقابة الأمويين وسلطانهم.

e. انتقال مركز الدعوة العباسية إلى العراق:

وقد حارب أبو مسلم الخراساني نصر بن سيّار وطرده من خراسان واستطاع قحطبة بن شبيب أن يسيطر للعباسيين على العراق بعد أن هزم قوات نصر المتراجعة ولم تفلح الإمدادات التي أرسلها مروان لنصر، وحدث أن وافته المنية عام 131 فمات نصر بن سيّار محسورا في جو الهزيمة. وسار إلى الكوفة أبو العباس.

f. المبايعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس 132:

وهناك فى الكوفة -بعد قليل من وصول آل العباس إليها- تمت مبايعة أبى العباس خليفة للمسلمين، وتوجه "أبو العباس" إلى مسجد الكوفة عقب مبايعته بالخلافة فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة 132هـ/ 750م، وألقى على الملأ خطبة كانت بمثابة الإعلان الرسمى عن قيام الدولة العباسية، ومما جاء فى تلك الخطبة:

"الحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه، وكرمه وشرفه وعظَّمه، واختاره لنا، زعم الشامية أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، شاهت وجوههم، بِمَ ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، ودحض الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدًا، ورفع بنا الخسيسة، وتمم النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة فى دنياهم، وإخوانًا على سرر متقابلين فى آخرتهم، فتح الله ذلك -مِنَّةً وبهجة -لمحمد (، فلما قبضه الله إليه، وقام بالأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، حَوَوْا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصًا منها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزُّوها وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، وقد أملى الله لهم حينًا حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وتدارك بنا أمتنا، وَوَلِيَ نصرنا والقيام بأمرنا، لَيمُنَّ بنا على الذين استضعفوا فى الأرض، فختم بنا كما افتتح بنا، وإنى لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وماتوفيقنا أهل البيت إلا بالله، فاستعدوا أيها الناس، فأنا السَّفَّاح المبيح والثائر المنيح (يقصد بالسفاح أنه كريم جواد) ".

ومن هذه المقولة التصقت به صفة السفاح، فقيل أبو العباس السفاح، مع أنه ما قصد ذلك المعنى الذي شاع على الألسنة.

g. اللقاء بين مروان بن محمد وجيش أبي العباس السفاح العباسي:

يالها من لحظات حاسمة فى تاريخ الأمم والشعوب، إن شمس الأمويين الغاربة تؤذن بالزوال، بينما شمس العباسيين فى صعود، وهذه هى الدنيا، فيوم لنا ويوم علينا، والأيام دُوَل.

وكان اللقاء الحاسم بين الأمويين والعباسيين على أحد فروع دجلة بالقرب من الموصل وهو "نهر الزَّاب الأعلى".

فجيش العباسيين يقوده عم الخليفة، وهو "عبد الله بن على"، بينما يقود جيش الأمويين الخليفة نفسه "مروان بن محمد".

كان ذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة 132هـ/ 750م، ولم يجد "مروان" أمام جحافل العباسيين إلا أن يفر إلى "دمشق" مهزومًا أمام مطاردة "عبد الله بن على".

لقد راح يُطارده، فاستولى على "دمشق"، واستولى على مدن الشام واحدة بعد الأخرى، وكان استسلام دمشق العاصمة معناه سقوط دولة بنى أمية، وانتهاء عهدها كعاصمة للدولة الإسلامية، لكن مروان قد فرّ إلى مصر وتوجه إلى صعيدها، وقرب الفيوم، عند قرية "أبوصير" ثم وشى به غلامه وأُلقِيَ القبضُ عليه، وقُتِلَ بعدما ظل هاربًا ثمانية أشهر، يفر من مكان إلى مكان بعد أن قاتل المهاجمين. ومضى عهد، وأقبل عهد جديد، وسيظل عام 132هـ/ 750م فاصلا بين عهدين، وتاريخًا لا يُنسى.

بدأت الدولة الجديدة سنة 132هـ/ 750م، وقد بلغ عدد خلفائها نحو سبعة وثلاثين خليفة، تعاقبوا على التوالى حكم هذه الدولة التى طال عمرها، واختلفت عصورها، وامتدت حتى سنة 656هـ/ 1100م ؛ حيث سقطت على أيدى التتار، بعد أن عاشت خمسة قرون وربع قرن ؛ اختلفت فيها العصور قوة وضعفًا!

الدولة العباسيــة

عبد الله أبو العباس السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (132-136):

1. بايع الناس لأبي العباس عام 132، وكان بذلك أول خلفاء العباسيين. وكان كريما معطاءا حافظا لكلمته وقورا.
2. بدأ عهده بالقضاء على البقية من مقاومة الأمويين، فعين عمه سليمان على البصرة، وعمه اسماعيل على الأهواز، وعمه داوود على الكوفة وعمه عبد الله على جيش لقتال مروان الثاني، وأخيه أبو جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة.
3. لم يتمكن أبو جعفر من هزيمة يزيد بن هبيرة فأعطاه الأمان، ثم لما وصل الأمان إلى أبي العباس، نصحه ابا مسلم بأن يقتله فقتله وهي من غدرات المنصور.
4. قتل ابو العباس أبا سلمة الخلال الذي أراد أن يحوّل الخلافة إلى الطالبيين، بأن أرسل إلى أبو مسلم أن يقتله.
5. **الأوضاع الخارجية:**
   a. **الجبهة الصينية:**
      i. استطاع العباسيون أن يردوا الصينيين عن بلاد ما وراء النهر وأن يؤمنوا خطوط تجارتهم إلى الهند.
   b. **الجبهة البيزنطية**: كان نقل العاصمة من دمشق بعيدا عن الحدود البيزنطية عاملا في اضعلف المقاومة الإسلامية على الحدود الشامية، مما دفع البيزنطيين إلى التجرأ على المدن الإسلامية في الشام ووصلوا حتى الفرات وخربوا المدن والقلاع التي اجتازوها. وقد تكون رد فعل عباسي ازداد تدريجيا فعادت حركة الصوائف والشواتي، وأرسل أبو العباس حملات استردت ما استولى عليه البيزنطيون. ثم أعد جيشا كبيرا بقيادة عمه عبد الله بن علي لغزو آسيا الصغرى إلا أنه مات قبل إنفاذ الجيش.
6. **الوزارة**:
   a. كان نظام الوزارة نظاما قديما في فارس فأخذ به العباسيون بناءا على ما قرره دعاتهم من الخرسانيين. وقد كانت نوعين:
      i. **وزارة تنفيذ**: وهي التي سادت في عصر قوة الخلفاء، والوزير في هذه الوزارة هو الذي يصل بين الخليفة والشعب. ومن أمثل هؤلاء: ابي مسلم الخرساني، وأبي سلمة الخلال، ثم خالد بن برمك الذي رفض أن يسمى وريرا خسية أن يلحق بابي سلمة الخلال.

ii. **وزارة تفويض**: وفيها يتنازل الخليفة للوزير عن سلطاته في التشريع، فيكون الوزير مفوضا لإتخاذ القرارات دون الرجوع إلى الخليفة، وهو ما ساد في عصر ضعف الخلفاء مثل آل برمك الذين استفحل أمرهم في عهد الرشيد فقضى عليهم.

7. **وفاة أبو العباس:** مات بالجدري وعهد إلى أخيه المنصور عام 136.

عبد الله أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله (132-158):

1. وقد ولد في الحميمة موطن أبيه محمد بن علي، وقد كانت أمه سلامة عربية الصل، وقد حظي بالعلم وكان أديبا فصيحا عالما. وقد عرف بالشدة والحزم وعدم التردد والإهتمام بالرعية والثبات عند الشدائد. وحكم فترة طويلة 26 عاما توطدت فيها دولة بني العباس فكان هو مؤسسها الحقيقي.

2. واجه المنصور **ثلاث** مشكلات محورية:

a. خروج عمه عبد الله بن علي في أهل الشام.

i. كان مما أزعج عبد الله بن علي ميل أبو العباس والمنصور للفرس، فاستخدم الجيش العربي الذي أعده للقاء البيزنطين لقتال ابن أخيه. وبايعه الجند على الخلافة.

ii. أرسل اليه أبو مسلم الخرساني لقتاله فقاتله في نصيبين وهزمه ففر إلى أخيه سليمان بن علي بالبصرة، ثم قبض عليه المنصور وحبسه ثم قتله عام 147.

b. أبو مسلم الخرساني:

i. تعاون الفرس مع العباسيين لما تعرضوا له من ظلم ايام الأمويين، ولإعادة القوة والعظمو لفارس كما كانت وقد نشأت حركة قوية تسمى بالشعوبية وهي معادية للعرب ومنها الشاعر بشار بن برد.

ii. حين راي الخرسانيون أن الدولة الجديدة لم تحقق ما أرادوه وأنها لا تزال تعتمد على العرب من أهل بيت الخليفة، بدأ التذمر. وقد حدثت بعض أمور عكرت صفو العلاقة بين أبي جعفر وأبي مسلم منها:

1. إمارة الحج عام 136 والتي ولاّها ابا العباس لأبي جعفر بدلا من أبي مسلم.
2. قلل من هيبة المنصور وصار يقوي من مركزه أمام الناس
3. لم يعطيه البيعة مباشرة بعد وفاة السفاح.

iii. كانت من التهم الموجهة اليه:

1. أنه خطب عمة المنصور وهو غير مقبول ان تتزوج العباسية غير العباسي.
2. أنه إدعى النسب العباسي فزعم أنه إبن سليط بن عبد الله بن عباس.
3. قتله سليمان بن كثير نقيب النقباء وغيره من زعماء القبائل.
4. قراره بمخالفة الخليفة والسير إلى خراسان بدلا من مصر والشام.

iv. قرر المنصور التخلص منه، فأراد أن يفصله عن جنده ومركز سلطته فولاه مصر والشام ولكن أبا مسلم لم ينخدع لذلك، ورفضه، ثم دعاه المنصور لزيارته في المدائن ولكن ابا مسلم فطن للوقيعة ورفض الذهاب، إلا أن المنصور أرسل اليه يهددع ويوعده واستطاع رسول المنصور أن يقنع أبا مسلم بالذهاب لملاقاة الخليفة. ولما ذخل عليه جرت بينهما مجاورة سياسية كانت أقرب إلى المحاكمة منها إلى المحاورة ثم خرج عليه الجند وقتلوه عام 137.

v. الحركات الخارجية نتيجة مقتل أبي مسلم: ظهرت عدة حركات مجوسية قلبا وقالبا تدعو إلى الإنتفاض على العباسيين بل على المسلمين عامة مثل حركة سنباذ الذي أراد أن يهدم الكعبة. ولكن المنصور قضى عليه بعد شهرين فقط من الحركة عام 137. ثم تبعتها حركات أخرى مثل الراوندية وأستاذسيس، ولكن المنصور قضى عليها جميعا.

c. خروج الطالبيين:

i. خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ النفس الزكية في المدينة:

1. كان والده عبد الله بن الحسن قد جمع الطالبيين والعباسيين قبل سقوط الدولة الأموية، في الأنبار واتفقوا على أن يولوا النفس الزكية، فلما استلبها أبو العباس ثم المنصور لم يرض عن ذلك وقرر الخروج، بعد أن أمضى وقتا مختفيا للإعداد، وقد أخطأ في تقدير الظروف المحيطة، وقد أفتى الإمام مالك بالمدينة بأن لا بيعة لمكره، مما أعطاه غطاءاً شرعياً. ولكن المنصور حاوره في رسلئل عديدة ثم قرر مواجهته وأرسل جيشا هزمه وقتله في رمضان.

ii. خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن عليّ (أخو النفس الزكية)[11]:

[11] الإثنا عشر إماماً الذين يتخذهم الشيعة الإمامية أئمة لهم :
_ علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – الذي يلقبونه بالمرتضى رابع الخلفاء الراشدين ، وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، 17 رمضان سنة 40 هـ.
_ الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ويلقبونه بالمجتبى(3-50 هـ(
_ الحسين بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالشهيد (4- 61 هـ(.
_ علي زين العابدين بن الحسين (38 _ 95هـ) ويلقبونه بالسجاد .
_ محمد الباقر بن علي زين العابدين (57 _ 114هـ) ويلقبونه بالباقر .
_ جعفر الصادق بن محمد الباقر (83 _ 148 هـ) ويلقبونه بالصادق .

1. كان النفس الزكية قد أرسل أخيه إبراهيم إلى البصرة للخروج في نفس اليوم إلا أنه كان مريضا فلم يخرج هذا اليوم. وقد كان قد التف حوله الكثير ممن لم يرضوا عن العباسيين ومنهم الزيدية والمعتزلة والفقراء. واستطاع أن يسيطر على الأهواز والمدائن، إلا أن المنصور سيطر بنفسه على الكوفة لأهميتها.

2. تلاقي الجيش الطالبي والعباسي عام 145، بقيادة عيسى بن موسى بن عم الخليفة وكاد أن ينهزم لولا أن إبراهيم أصيب بسهم قتله فتشتت الجيش وانتصر العباسيون.

3. **المغرب العربي:** ضعفت قبضة العباسيين في المغرب العربي نتيجة بعد مركز الخلافة عنه مما أدى إلى خروج حركتين للخوارج، كانتا تناسبان الإتجاه البربري في المغربن وهما الحركة الإباضية والتي أنشات دولة في مدينة تاهرت التي أسسها مؤسس الدولة، وعمّرت مئة وثلاثين عاما، وأخرى هي إمارة سجلماسة الصفرية والتي عمّرت مائة وأربعين سنة. وقد حاول المنصور استعادة المغرب فاستطاع أن يستعيد القيروان إلا أنه لم يتجاوز أبعد من ذلك إلى داخل المغرب.

4. **الدولة الأموية في الأندلس:** عاشت الأندلس جوا من الإضطراب في إبان الصراع العباسي الأموي متمثلا في الصراع اقيسي اليمني، مما جعلها مستعدة لتقبل أي تغيير للأصلح. وأثناء مطاردة العباسيين للأمويين بعد عام 132 هـ استطاع أحد الأمراء الأمويين وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الذي عُرف باسم عبد الرحمن الداخل وباسم صقر قريش. وعندما بدأ الدعوة لقيام الدولة الأموية في الأندلس اصطدم بحاكم المغرب عبد الرحمن بن حبيب وكذلك بيوسف بن عبد الرحمن الفهري. التقى الجيشان في 138هـ وانتصر الداخل بعد أن عاونته العصبية اليمنية التي أرادت أن تنتقم لنفسها من القيسية الموالية للعباسيين واستولى على قرطبة وأعلن قيام الدولة الأموية في الأندلس والتي استمرت في حكمها أكثر من ثلاثمائة عام. وقد كان المنصور يعبّر عن إعجابه بالداخل بعد أن فشل في القضاء عليه، وهو الذي أسماه صقر قريش.

5. **الأوضاع الخارجية: البيزنطيون**: عمل المنصور على مهادنة البيزنطيين وإعادة بناء الثغور والحصون التي تهدمت، وستطاع أن يقوى الثغور الشامية والعراقية وأن ينشأ لها نظاما خاصا للإدارة والمال وأقام بها الآلاف من المرابطين المقاتلين، فأوقف الهجوم البيزنطي.

_ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (128 _ 183 هـ) ويلقبونه بالكاظم .
_ علي الرضا بن موسى الكاظم (148 _ 203 هـ) ويلقبونه بالرضي .
_ محمد الجواد بن علي الرضا (195 _ 220 هـ) ويلقبونه بالتقي .
_ علي الهادي بن محمد الجواد (212 . 254 هـ) ويلقبونه بالنقي .
_ الحسن العسكري بن علي الهادي (232 . 260 هـ) ويلقبونه بالزكي
_ محمد المهدي بن الحسن العسكري (256 . ...) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر .

6. **بنـــاء بغداد**: من أهم منجزات المنصور هي بناء عاصمة الخلافة ودرتها بغداد (مدينة السلام). وقد كان المنصور يحكم من عدة مدن حتى تم بناؤها عند التقاء نهر الصراة[12] بنهر دجلة. وكان بناؤها من الأهمية للعباسيين بمكان إذ إنها ليست عاصمة الأمويين التقليدية دمشق، كما أنها ليست مركز الطالبيين في الكوفة، وهي مدخل للشرق الفارسي. وقد بنيت بغداد بشكل رائع يخدم الغرض الدفاعي وأحيطت بالماء من كل ناحية لجعلها كالجزيرة. وقد بنى بها قصره المعروف باسم قصر الخلد وأجرى اليه قناتين. وقيل أنها تكلفت 18 مليون ديناراً. وظلت بغداد عاصمة الدنيا وحليتها وموطن علمائها وفنها ومعبر تجارتها لقرون عديدة فسبحان مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء. ثم بنى بعدها مدينة الرصافة[13] القريبة منها لإبنه المهدي.

7. **شخصية المنصور**: وشخصية المنصور لا خلاف في قوتها وأنه رجل يثبت عند الشدائد، له ذكاء ودهاء شديد كما كان يصرف وقته في النظر في شؤون الرعية وتفقدأحوالهم والحكم بينهم. ولكن أُخذ عليه غدرات ثلاثك غدرته بأبي مسلم وغدرته بأبي هبيرة بعد أن أعطاه الأمان وغدرته بعمه عبد الله بن علي. ولكنه مع ذلك كما يقول البعض أن الغدر لم يكن له طبعاً إذ أنه أعطى أروى بنت منصور الحميرية عهدا حين تزوجها ألا يتزوج غيرها، ثم أمضى عشر سنوات حتى ماتت يستجلب الفقهاء ليجد مخرجا من هذا العهد ولم يمكنه ذلك، فهذا رجل لم يكن الغدر طبعه. وكان فصيحا بليغا إذا خطب، وكان فيه حرص على المال.

8. **وفاة المنصور**: بعد حكم دام 26 عاماً وفي عام 158، أحرم للحج ولكن المرض داهمه في الطريق، فمات وأخذ كاتبه الربيع البيعة لولده المهدي ومن بعده بن عمه عيسى بن موسى الذي كان من المفروض أن يتولى الخلافة بعد السفاح، وتمت البيعة للمهدي في الحجاز وسائر الدولة بعد أن تعرض عيسى بن موسى للترغيب والترهيب من قبل المنصور حتى يتولى ابنه المهدي، فتنازل عيسى خوفا. وكان ولد المنصور ثمان وبنت واحدة.

محمد المهدي بن عبد الله (المنصور) بن محمد بن علي بن عبد الله (158-169):

أمه أروى بنت منصور الحميرية. ولد بالحميمة عام 126. أخذ المنصور له البيعة عام 147 بعد أن هذبه وعلّمه فنون الحكم والحرب. تزوج من بنت عمه ريطة بنت أبو العباس السفاح. وكان كريما ذكيا يراعي أحوال الرعية وينفي المظالم شديدا على أهل الإلحاد. بويع له بعد وفاة والده على يد الربيع بن يونس الحاجب.

تميز عهده بالإصلاح إذ اتخذ سياسة اللين بعد سنوات العنف التي سادت عهد من قبله. وكان اعتناؤه بالعدل غاية في الحسن، إذ اتخذ بيتا له نافذة مغطاة بقضبان الحديد ليلقي الناس بمعاريض المظالم فيها فلا تضيع ولا تتأخر. وجلس بنفسه للقضاء فيها. وكان محبا للسنة وإن كان يعيش عيشة مترفة، فقد أعاد المنابر على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنه كان يعادي من يقع في الشيخين. وكان لا يشرب النبيذ وإن كان سمّاره يشربونه في حضرته وهو مباح في مذهب أبي حنيفة! كذلك كان يحب الأدب والشعر، ويحب العطاء للناس. وقد كان قد حبس موسى بن جعفر العلوي فكان في صلاته يوما فقرأ "فهل عسيتم إن توليتم..." فلما قضى الصلاة أمر بموسى

---

[12] وهو الذي ذكره المتنبي في قوله: **أفما وجدتم في الصراة ملوحــة مما أرقرق في الفرات دموعي**

[13] وهي التي ذكرها الحليّ في قوله: **عيون المهى بين الرصافة والجسر قتلننا من حيث ندرى ولا تدري**

فأحضروه، فسأله إني قد قرأت هذه الآية فأخاف أن أكون قد قطعت رحمك فهل تعطيني ميثاقا أنك لا تخرج عليّ فقال موسى نعم فأطلقه. كما وسّع في الحرم المكي والمسجد النبوي. كما أطلق السجناء السياسيين من زمن المنصور.

1. **الوضع الداخلي - الوزارة:**

a. **أبو عبد الله معاوية بن يسار:** اتخذت الوزارة في عهد المهدي وضعا هاما، إذ أن المنصور كان قد عيّن المهدي وزيرا له يعتمد عليه في كل شؤون الدولة ليدربه على الحكم، وكان له مستشارا وكاتبا (كانت وظيفة الكاتب ذات خطورة في ذاك الزمن) هو معاوية بن يسار أعلم الناس وأكثرهم بلاغة وفهما في عهده فكان المنصور يشير على ابنه بالإستماع اليه والإعتماد عليه، فلما تولى المهدي عينه وزيرا واعتمد عليه في الإدارة لدرجة كبيرة، وكان معاوية كفؤا لهذا وأهل له وكان عفيفا أمينا لا يرتكب ما يشين، وقد اتبع سننا مرضية في الخراج وألف أول كتاب في الخراج وقواعده قبل أن يصنف أبو يوسف صاحب أبو حنيفة كتابه "الخراج". ثم حدث أن أوقع الربيع الحاجب بمعاوية عند المهدي لأنه لم يعبأ به في أحد المقابلات، فأبلغ المهدي أن أحد أبناء معاوية زنديق لا يقرأ القرآن، فقتله المهدي، ثم استوحش معاوية من المهدي بعدها ومات عام 170 بعد أن خلعه المهدي عام 161.

b. **يعقوب بن داود**: كان أبوه داود بن طهمان مولى للأمويين وكان كاتبا لنصر بن سيّار في خراسان، فلما ذهب ملك الأمويين، خرج يعقوب مع النفس الزكية وإبراهيم أخيه، ثم حبسه المنصور وأطلقه المهدي، ثم أراد أن يجد من يجمع عليه أمر الزيدية، فأوصى به أحد الهاشميين الذين أمضوا زمنا في الحبس معه للخليفة، فولاه الوزارة لمّا رأي من أهليته وعلمه. وبلغ داود منزلة عليا جعلت الوشاة به يوقعون بينه وبين الخليفة على أنه شيعي حتى قال بشار بن برد:

بني أمية هبـــــوا طال نومكـــم	إن الخليفـة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا	خليفة الله بين الناي والعود

وكتب المهدي للناس أنه اتخذه أخاً في الله، ولكن وشى السعاة عند الخليفة أن يعقوب كان يساعد صديقه العلوي الهاشمي ليستولي على الخلافة وأن نفوذ يعقوب غاية في القوة ويمكنه أن يجعل الناس يثورون ضد المهدي بجرة قلم، وكان أن أمر المهدي يعقوبا بأن يقتل ثائرا علويا، فمن عليه يعقوب بعد أن أبلغ المهدي بأنه قتله، فعرف المهدي واسنوحش من يعقوب ثم عزله عام 166.

c. **الفيض بن ابي صالح**: وكان من أهل بيت نصارى أسلموا وتولاهم العباسيون فكانوا أهل فضل وعلم وأدب، وكان الفيض جوادا سخيا عزيز النفس كبير الهمة، استوزر للمهدي حتى وفاته، ولم يستخدمه أحد بعد ذلك ومات هام 173 في عهد الرشيد.

d. أنشأ المهدي ديواناً جديدا يكون لصاحبه الرقابة على كل الدواوين "ديوان الأزمّة". وعيّن كذلك صاحبا لكل ديوان من قبل الحكومة.

2. **الحركات المعادية للعباسيين:**

a. **الزنادقة**: الزندقة كلمة كانت خاصة بأتباع المجوس والزرادشتية والمانوية، ثم عمّت الملحدين وطوائف من الخلعاء والمجّان من المغنين والشعراء، كما شملت الشعوبيين.

b. حارب المهدي الزندقة وأفكارها التي تناهض الإسلام وتدعو للثنوية (عبادة النور والظلمة) وقد انتعشت هذه الدعوة في عهد العباسيى لعدة عوامل منها الحرية الفكرية التي سادت الدولة الإسلامية، وكذلك ما رآه الفرس من أن مخططهم للعودة إلى السيطرة على الدولة الإسلامية عن طريق مساندة العباسيين لم تجد نفعا، فلجؤوا إلى طريق نشر الإلحاد للقضاء على الإسلام. وكان المهدي من أشد الناس عليهم حتى أنه أنشأ ديوانا خاصا بأهل الإلحاد وعيّن له مديرا خاصا سمّاه "صاحب الزنادقة".

c. **حركة المقنّع الخرساني 159-161**: خرج المقنّع في مرو بخراسان واعتمدت على إدعاء ألوهيته وعلى القول بالتناسخ والحلول، واتبعه الكثير من الناس ولكن المهدي أرسل اليه سعيد الخرشي فحاربه ولما علم أنه سيهزم حرق نفسه، وقيل شرب السم هو وكلّ أهله.

d. **العلاقة مع الأمويين في الأندلس**: شجع المهدي الحركات المناهضة لعبد الرحمن صقر قريش ومن أخطرها حركة سليمان بن يقظان الذي اتفق مع عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي المغرب وحسين بن يحي الأنصاري والي سرقسطة. والخطورة تكمن في أن سليمان هذا أرسل يستعين بشارلمان للقضاء على عبد الرحمن، ولم يدري أن استعانته بالكفار هي من الرزايا التي لا تغتفر. ولكن عبد الرحمن استطاع أن يقضي على جيوش عبد الرحمن بن حبيب الفهري، ثم أعلن بعدها حسين بن يحي الأنصاري خروجه من المؤامرة لأنه أدرك بشاعة الخيانة للمسلمين بالولاء للكفتر، وأغلق ابواب سرقسطة في وجه قوات شارلمان، ثم قامت ثورة السكسون في ألمانيا ضد شارلمان، فاضطر للعودة وفشلت الحملة ضد صقر قريش.

e. **العلاقة مع البيزنطيين**: تولى ليو الرابع العهد في نفسالعام الذي تولى فيه المهدي، واستمرت الأمور في سلام بينهما لفترة حتى أنهما تبادلا إطلاق الأسرى، ولكن ليو بدأ الحملة مرة أخرى على أرض المسلمين، عام 159، فرد المهدي بحملة كبيرة بقيادة عمه العباس بن محمد وصلت إلى أنقرة. ثم أتبعها بحملة بقيادة ثمامة بن الوليد رد عليها ليو بحملة غزت مرعش، فأرسل المهدي جيشا كبيرا بقيادة الحسن بن قحطبة وتغلغل في أراضي البيزنطيين فأثبت وجودا اسلاميا قويا، ثم وجّه المهدي ابنه هارون (الرشيد) قاصدا القسطنطينية، ثم مات ليو وتولت زوجته ايرين الحكم كوصية على ابنه قسطنطين، مما أضعف الإمبراطورية، فتصالحت مع هارون على تؤدي اليه جزية وأن تسهل أمور التجارة وأن يستمر الصلح 3 أعوام.

3. **وفاة المهدي:** توفي المهدي عام 169 بسبب حادث صيد وقيل إنه تناول السم بطريق الخطأ، وقد كان قبل موته قد خلع عيسى بن موسى! وولى ابنه الهادي ومن بعده ابنه هارون الرشيد.

موسى الهادي بن محمد (المهدي) بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله (169-170):

1. وأمه أم ولد تدعى الخيزران. وكان قوي الجسم أديبا سخيا ولكنه نشأ مترفا وحمل على أخيه الرشيد وأمه الخيزران لأنها نصحت أباه أن يولي الرشيد بدلا منه لرفقه بها أكثر من الهادي ولشدة ذكائه، وكان محباً للغناء فقرّب اليه ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق المغنيان العراقيان. وكانت فيه حدّة وشراسة طبع. وكان شديد الغيرة على نسائه كما ينبغي في السنّة كما عرف عن سليمان بن عبد الملك، وكانت أمّه الخيزران تعودت من زمن أبيه أن يكلّمها الناس في حاجاتهم وأن تقضيها لهم فكان يقصجها القواد والصحاب الحوائج، فلمّا ولي الهادي، منعها من ذلك وكلمها كلاما شديدا أن "لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمي لأضربن عنقه ولآخذن ماله فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟! اما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك؟! إياك ثم إياك فتحت بابك على مسلم أو ذميّ، فانصرفت لا تعقل ما تطأ ولم تنطق عنده بعدها بحلوة أو مرة".

2. كان كأبيه شديدا على الزنادقة لا يتوانى عن قتلهم ومنهم رجل يدعى يزدان بن باذان وكان قد شبّه الحجاج ببقر يدوس على البيدر، فقال فيه العلاء بن الحداد الشاعر:

أيا أمين الله في خلقـــــه　　　ووارث الكعبة والمنبـــر

ماذا ترى في رجل كافر　　　يشبــه الكعبة بالبيـــــدر

ويجعل الناس إذا ما سعوا　　　حمرا تدوس البر والدوسر

فأمر به الهادي فقتل.

3. **العلاقة مع الطالبيين**: انتهت الهدنة التي كانت بين الطالبيين وبين العباسيين بوفاة المهدي، فقام عليهم الهادي وقطع صلاتهم وتجسس عليهم

   a. **خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي**: وكان ممن تطلع إلى الخلافة واعتبر العباسيين ممن غصبوها من الطالبيين. فخرج في المدينة واستولى عليها ثم خرج إلى مكة ليستولى عليها غير أن المكيين لم يستجيبوا له. وأرسل الهادي جيشا قضى عليه في مكان يدعى فخ وسموه: قتيل فخ". وهرب من الطالبيين يحيي وإدريس ابنا عبد الله بن الحسن (ابناء عم الحسين بن علي) وأسس إدريس دولة الأدارسة في المغرب واتجه يحيي إلى المشرق.

4. **وفاة الهادي**: أراد الهادي أن يخلع أخاه الرشيد وأن يولى ابنه جعفرا، ولكنه لم يتمكن من ذلك وساعد الرشيد في هذا يحيى بن خالد البرمكي (ستأتي سيرة البرامكة في عهد الرشيد) وكان ملازما للرشيد فاستدعاه

الهادي فقال له أريد أن أخلع الرشيد، فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل ولكن إجعلها لجعفر بعد الرشيد حتى لا يقول الناس أنك تلاعبت بالمواثيق، فرضى عن ذلك ثم مرض ومات في 3 أيام وبايع الناس الرشيد.

هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله (170-193):

وتعتبر فترة حكمه نادرة في التاريخ الإسلامي، واختلطت الحقائق فيه بالأساطير والقصص، وذاع صيته في الآفاق وتقرب اليه الغربيون وكان ذو شخصية متناقضة هي السمة العامة للشخصية القوية الوثابة الذكية فقد عرفت عنه الشدة والقسوة في الإنتقام وحدة المزاج، وعرف عنه التأثر الشديد وسرعة البكاء والرحمة والعطف، وهذا ليس غريبا في عالم النفس، فإن النفس تحتاج إلى موازنة لعواطفها ومزاجها، فإن كان فيها إفراط في أمر من الأمور يعتريها في وقت من الأوقات، احتاجت أن تعالجه بضده في وقت آخر، فترى العنيف رحيما يذوب رحمة، وترى القاسي شفيقا يبكى لأقل الأمور وهذه هي سنّة الله في خلقه، وهكذا كان الرشيد. وأمه الخيزران. وكان معاصروه:

شارلمان في فرنسا، وإدريس بن عبد الله بن الحسن في المغرب ومن بعده ابنه إدريس، وعبد الرحمن الداخل في الأندلس وقسطنطين السادي (وأمه ايرين) في بيزنطة.

1. **الطالبيون**: أراد الرشيد أن يستمر في الهدنة التي كانت بين العباسيين والطالبيين في عهد أبيه المهدي لفترة ولكن الطالبيين لم ينسوا ما استقر في عقيدتهم من أحقيتهم بالخلافة.

a. **يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن**: في المشرق عام 176: وهو من الناجين من وقعة فخ أيام الهادي، وقد أراد الخروج على الرشيد فسيّر له جيشا في خمسين ألفا بقيادة الفضل بن يحيي بن خالد البرمكي، فاستمال يحيى بن عبد الله ورضي بالصلح وعاد يحيى مع الرشيد الذي أكرمه غاية الإكرام إلى حين ثم أمر جعفر فسجنه ثم أطلقه جعفر دون أمر الرشيد فكان من أسباب نكبة البرامكة.

b. **إدريس بن عبد الله بن الحسن بن احسن:** وتوجه إلى المغرب، واستطاع أن ينشأ دولة بمعاونة البربر، واشتدت قوته، وأراد غزو شمال أفريقيا فأرسل الرشيد رجلا إسمه سليمان بن جرير، فتصنع له ثم سمّه فمات عام 177، وخلفه بعده ابنه إدريس من أحد جواريه واستمرت دولة الأدارسة رغم الرشيد.

c. **موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنهم أجمعين)**: سادس أئمة الشيعة: عرف الرشيد أن الناس يلتفون حوله فقبض عليه وسجنه حتى مات عام 183.

2. **الخوارج**: خرج من الخوارج **الوليد بن طريف الشاري** وكان بطلا مغوارا شجاعاً، فاستولى على نصيبين فأرسل اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فحاوره وتلاقى الجيشان وخرج الوليد يرتجز:

أنا الوليد بن طريف الشاري   قسورة لا يصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري

وبرز له يزيد بن مزيد، فتناجزا طول النهار ثم حانت فرصة ليزيد فضربه فأوقعه عن حصانه ثم تكالبوا عليه فقتلوه. وفيه تقول أخته الفارعة:

ألا يا لقومـــــي للنوائب والردى   ودهر ملحّ بالكـــــرام عنيفِ

ولليث كل الليث إذ يحملونــــــه   إلى حفـــــرة ملحودة وسقيفِ

ألا قاتل الله الحشا حيث أضمـرت   فتى كان للمعروف غير عيوفِ

فإن يك أوداه يزيد بن مزيـــــــدٍ   فرب زحــــوف لفها بزحــوفِ

3. **المشرق**: ولّى الرشيد علي بن عيسى بن هامان أمر خراستن، ضد مشورة يحيى بن خالد وزيره، فاستبد بلناس وسلب أموالهم ووجه الهدايا الكثيرة إلى الرشيد فرضى عنه مع أن يحيى أبلغه بأن هذه الهدايا لابد وأن تكون أتت من مظالم، ثم خرج على عليّ هذا رافع بن الليث بن نصر بن سيّار (القائد الأموي) واستفحل أمره، فأرسل علي بن عيسى ابنه عيسى لقتاله فقتله رافع، ثم ظهر أن علي كان له مال كثير مخبّأ لم يطلع عليه الرشيد فعلم أنه خائن، فأرسل اليه جيش كبير بقيادة هرثمة بن أعين الشهير على أنه لمساعدته لقتال رافع إلا أنه خلعه وولى هرثمة وأمره أن يعيد الأموال المغصوبة إلى أهلها. واستفحل أمر رافع هذا حتى توجه الرشيد نفسه إلى خراسان لقتاله عام 193 ولكنه مات في طوس، وبقي رافع يهدد الدولة العباسية إلى أيام المأمون ثم أطاعه دون قتال.

4. **البرامـــكة**: وهي قصة خطيرة تبين مدى تغيّر أهواء الحكام وتبدل ولاءاتهم لمن يخدمهم حسب ما يبدو لهم من أوضاع جديدة. فاسرة البرامكة خدمت العباسيين زمنا طويلا، ورأسها هو و**خالد البرمكي** الذي كان يعمل مع أبو مسلم الخرساني، ثم تولى أمر العراق دون أن يكون وزيرا أيام أبو العباس السفاح بعد مقتل أبو سلمة الخلال وتركه المنصور كذلك في منصبه وولاه الموصل حتى مات عام 163 في خلافة المهدي، وكان ابنه **يحيى بن خالد** ممن تربى في ظل العباسيين وكان من أكثر الناس أدبا وعلما وإخلاصا للرشيد وولاه المنصور من قبل أذربيجان عام 158 وهو الذي أشار على الهادي أن يترك بيعة الرشيد في موضعها وأشار على الرشيد ألا يتنازل لجعفر بن الهادي بعد أن أوشك على ذلك. وقد قام مع أم الرشيد الخيزران بشؤون البيعة له بعد وفاة الهادي وعادت للخيزران قوتها وكانت تستشير يحيى فيكل الأمور كذلك الرشيد الذي ضم له خاتم الخلافة فأصبح يسمى "صاحب الرياستين". وكان ليحيى أربعة أولاد هم من درر الدنيا وعيونها:

a. **الفضل بن يحيى**: وهو من عمر الرشيد، وقد أرسله الرشيد لقتال يحيى بن عبد الله بن الحسين، فاستطاع أن يستميله دون قتال وعرف له ذلك الرشيد، فأكرمه إكراما عظيما وجعله معلما ووصيا

على ابنه الأمين وولاه خراسان ومدحه الشعراء كما يمدحون الخليفة ومن أشهرهم مروان بن أبي حفصة الشاعر وفيه يقول:

إن الجواد بن يحيى الفضل لا ورقٍ يبقى على جود كفيه ولا ذهـــــبُ

كم غاية في الندى والبأس أحرزها للطالبين مداها دونها تعـــــــــبُ

ولا الرضا والرضا لله غايتـــــه إلى سوى الحق يدعوه ولا الغضبُ

قد فاض عرفك حتى ما يعادلـــه غيثٌ مغيثٌ ولا بحــــــر له حدبُ

b. **جعفر بن يحيى**: وكان قمة أبناء برمك، وكانت له منزلة عظيمة عند الرشيد تحكيها كتب السير إذ كان لا يجلس لسمر أو حديث إلا ومعه جعفر وأخته العباسة بنت المهدي حتى شاع أنه زوجها له سرا حتى يمكن أن يدخل عليها في حضرة الرشيد بلا مانع، وهو أمر أنكره العارفون بالسير وإن كان في كتب الأدب. وكان جوادا فصيحا بليغا سخيا أكثر مما يحتمله الوصف. وقد ولاه الرشيد مصر عام 176. ثم ولاه الشام بعد أن خرجت عليه فاستطاع إخضاعها ثم استشفع الرشيد في أهلها أن لا ينتقم منهم. وقد جعله معلما لإبنه المأمون وتنضح كتب الأدب مثل الأغاني وعيون الأخبار والأمالي بأخبار جعفر والعباسة والرشيد ولياليهم وقصصهم.

c. **موسى بن يحيى**: وكان قائدا محنكا وشجاعا استطاع أن يخمد ثورة الشاميين مع أخيه جعفر

d. **محمد بن يحيى**: وكان بعيد الهمة مقداما إلا أنه لم يكن مشهورا كإخوته

e. **نكبة البرامكة**: وطبيعة الملك الإستبداد كما وصفه بن خلدون، والمَلك لا يقبل الشركة ولا يحتمل القرين مهما كان له عليه من فضل فهو يخشى قوة من ساعده أن تنقلب عليه في يوم من الأيام، وقليل من الوزراء والمساعدين من وعى هذا الدرس فقلّص نفوذه طواعية ولم يوغر صدر الملك عليه، مثل معاوية بن يسار مع المهدي، إلا أنه لم ينج من بلاء في قتل المهدي لإبنه على الزندقة كما قيل له. وقد كانت العلاقة بين الرشيد وبين عائلة يحيى بن خالد من القوة بمكان عظيم، فالخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل بن يحيى، كما كان يحيى بن خالد قائما بأمر الرشيد فكان الرشيد يدعوه أبي، ولكن الفضل كان متشبها بأبيه في فضله فلم يكن يشرب النبيذ مع الرشيد، وقال: لو أعلم أن الماء ينقص من مروءتي ما شربته. وكان جعفر أقربهم ودا ومنادمة للرشيد. وكان أبوه يحيى ينهاه عن مجالسة الرشيد إلى هذه الدرجة فهو يعلم طبع الملوك، ولكن دون جدوى. وقد احتار الناس في السبب الذي أوقع البرامكة في النكبة المشؤومة، فظنوا أنها وليدة حادثة بعينها، إلا أنها وليدة أمور تراكمت، فقيل هي بسبب حادثة يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي أمر الرشيد بحبسه بعد أن استطاع الفضل أن يثنيه عن القتال، ثم أخرجه جعفر دون إذن الرشيد الذي أعلمه بذلك الفضل بن الربيع بن يونس. والربيع بن يونس كان حاجبا للمنصور كما سبق وكذلك للمهدي وهو والذي دبر موضوع ابن يعقوب بن داود وجعل المهدي يقتله وسبب خلعه من

الوزارة، وابنه الفضل بن الربيع من موالي العباسيين وكان ممن تطلع إلى القوة والسيطرة إلا أن الخيزران لم تمكنه إلى أن ماتت عام 180، فعينه الرشيد حاملا للخاتم وكان يحقد على آل برمك لمكانتهم. وقد وقر في نفس الرشيد أن البرامكة يقفون في صفّ العلويين ويفضلونهم عليه من هذه الواقعة. وقال البعض أنه مجرد الملل يصيب الملوك من طول العشرة فيريدون التغيير. وبدأت معاملة الرشيد تتغير ويلقي كلاما لا يرضاه يحيى بن خالد ويجعله يستأذن عليه بعد أن كان يدخل عليه بلا استئذان، فعلم يحيى أن امرهم تغيّر. وقد كانت كذلك زبيدة زوج الرشيد تكره جعفر لأنه كان يحسن له أمر المأمون دون ولدها الأمين، فخافت إن مات الرشيد أن يوقع جعفر بين الأخوين. وفي عام 186، بعد أن حج الرشيد، أمر فقتل جعفر وحبس يحيى بن خالد وابنيه الفضل وموسى، وأطلق محمد. وعن هذه الأخبار يحكى الأغاني عن المفضّل الضبيّ الشاعر حين أتاه رسول المهدي فامتقع وجهه وتطهر ولبس ثوبين للموت، فلما دخل عليه سأله عن عدة أبيات شعرية ثم سأله عن حاجة له وأمر له بثلاثين ألف درهم لقضاء دينه[14]. وقال العتابي حين سأله البعض: لم لا تتقرب من السلطان بأدبك؟ لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء، ويرمي من السور في غير شيء، فلا أدرى أي الرجلين أكون"! وقد عيّن الرشيد الفضل بن الربيع بن يونس وزيرا بعد البرامكة حتى مات الرشيد.

5. **الحالة الإجتماعية والعلمية**: كان هذا حال السياسة، وإلا فيجب ألا ننسى أن الأدب والفقه والتجارة كانتا في أعلى حال وأغنى مآل. فقد اشتهر في هذا الزمان مالك بن أنس الذي توفي في عصر الرشيد 179، ثم الشافعي الذي توفي في عهد المأمون عام 204 ، كما اشتهر في هذاه العصور ما لا يحصى من الشعراء الأفذاذ وأهل الحديث والزهاد ممن ابتدأت بهم حركة الصوفية، كما أتاح المناخ الفكريّ الحرّ ظهور العديد من رؤوس البدعة التي لم تصل إلى حد الكفر مثل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد المعتزليين، والجاحظ الذي ولد في عهد المهدي ومات في عهد المهتدي 159-255، كذلك عبد الله بن المقفع الأديب الفذّ الذي قتله المنصور على تهمة الذندقة التي لم تثبت عليه، وهو صاحب كتاب كليلة ودمنة والأدب الصغير والكبير وغيرها، وغيرهم ما لا يعد ولا يحصى من العلماء والأدباء. أما عن الحالة الإجتماعية، فقد كانت بغداد ملتقى الفقه والعلم والدين، ومحط الفجور والغناء والفحش على السواء كأي مدنية من المدنيات العظيمة. وكان في الناس من هو زاهد متعبد ومنعهم من هو مسيء متعربد.

6. **العلاقات الخارجية**:

   a. **الدولة البيزنطية:** اتسمت العلاقة بين الرشيد والدولة البيزنطية بعدم الإستقرار فقد نقض نقفور امبراطور البيزنطيين عهد ايرين وصلحها، بعد أن **هزمهم الرشيد في عهد أبيه المهدي**، وكان "نقفـور" قد نقض العهد الذى أعطته الملكة "إرينى"، التى كانت تحكم الروم قبله، وأرسل إلى هارون الرشيد رسالة يهدده فيها: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب: أما بعد؛ فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرَّخ (طائر خرافى يعرف بالقوة)، وأقامت نفسها مقام البَيْدق (يعنى مقام الضعيف)، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بحمل أضعافه إليها، لكن ذلك

[14] الأغاني وضحى الإسلام ص130ج1

لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأتَ كتابى هذا، فاردد ما حصل لك من أموالها، وافتدِ نفسك بما تقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".

فلما قرأ الرشيد الرسالة غضب غضبًا شديدًا حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه، فدعا بدواة وكتب إلى نقفور ملك الروم ردّا على رسالته يقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام".

وقاد بنفسه جيوشًا جرارة، ولقّنه درسًا لا يُنسى، فعاد إلى أداء الجزية صاغرًا، بعد أن خضع أمام قوة المسلمين وعزة نفوسهم.

وجاء فى فتوح البلدان للبلاذرى: "وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون فى الغزو، ونفاذ بصيرته فى الجهاد أمرًا عظيمًا، وأقام من الصناعة (الأسطول) مالم يقم قبله، وقسم الأموال فى الثغور والسواحل، وهزم الروم وقمعهم".

وسمى الرشيد "جبار بنى العباس"؛ لأنه أخرج ابنه القاسم للغزو سنة 181هـ، فهزم الروم هزيمة منكرة، أدخلت الرعب فى قلوبهم، فصالحه الروم على أن يرحل عنهم فى مقابل أن يعيدوا إليه كل من أسروهم من المسلمين قبل ذلك، وكان هذا أول فداء فى الإسلام بين المسلمين والروم.

وأرسل "على بن عيسى بن ماهان" لغزو بلاد الترك، ففعل بهم مثلما فعل القاسم بن الرشيد بالروم، وسبى عشرة آلاف، وأسر ملكيْن منهم. ثم غزا الرشيد نفسه الروم وافتتح هرقلية، وأخذ الجزية من ملك الروم.

b. **دولة الفرنجة (شارلمان):** أما علاقة الرشيد بالفرنجة وملكها شارلمان فقد قيل الكثير عن البعثات التى تبادلاها وأنه كانت بينهما علاقة طيبة وأن ذلك لما كان لهما من مصلحة مشتركة في الوقوف ضد الأمويين في الأندلس كما تقاربت الدولة الأموية مع البيزنطيين لذات السبب، ولكن لم يثبت من هذا الكثير وثبت أنه الرشيد أهدى شارلمان فيلا هدية، وأنه كانت هناك علاقة بين ملك الفرنجة وبين بطريرق النصارى في بيت المقدس وأن الرشيد أمّن شارلمان على حجاج النصارى إلى بيت المقدس، وامتاز عهد الرشيد بمستوى رفيع من التسامح الديني، فقد أهدى البطريرق "شارلمان" وهو إمبراطور المسيحيين في ذلك الوقت مفاتيح "كنيسة القيامة"، كما سمح له ببناء مستشفى فيها، ومكتبة جمعت كثيرًا من الدراسات المسيحية، وقد كان هذا التسامح سمة كل العصور الإسلامية قاطبة.

7. **شخصية الرشيد**: وقد كان الرشيد من الشخصيات التاريخية التي لا يجود الزمان بمثلها كثيرا، فقد كان متدينا يلتزم بالتكاليف الشرعية، ثر الصلاة يوميا، كما كان يحج عاما ويغزو في سبيل الله عاماً، فحجّ 9 أعوام وكان يرسل 300 رجل على نفقته في العام الذي ينشغل عنه بالغزو مع فقهائه وأسرهم، وقد قاد غزوات عديدة بنفسه على الدولة البيزنطية وكان يقتحم الصعاب ويقف في المواقف الخطرة قبل جنوده. وكان ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء فى الدين، ويسرع الرجوع إلى رحاب الحق إذا ذكر.

حدث أنه حبس أبا العتاهية الشاعر، ووكَّل به رجلا يكون قريبًا منه لينظر ما يقول ويصنع، فكتب أبو العتاهية على الحائط:

أما والله إن الظــــلم لــــؤم   وما زال المسيء هو الظلـوم

إلى ديان يوم الدين نمضـى   وعنــد الله تجتمع الخصــوم

فجاء الرجل فأخبر هارون الرشيد، فبكى الرشيد، وأطلق أبا العتاهية واعتذر إليه واسترضاه. وحج ذات مرة، فرآه الناس وقد تعلق بأستار الكعبة يقول: "يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، صلّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا؛ يا من لا تضره الذنوب، ولا تخفى عليه العيوب، ولا تنقصه مغفرة الخطايا، صلّ على محمد وعلى آل محمد، وخِره لى فى جميع أموري، يامن خشعت له الأصوات بأنواع اللغات، يسألونه الحاجات، إن من حاجتى إليك أن تغفر لى ذنوبى إذا توفيتنى، وصُيِّرت فى لحدى، وتفرق عنى أهلي وولوا؛ اللهم لك الحمد حمدًا يفضل كل حمد، كفضلك على جميع الخلق؛ اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا، وصلّ عليه صلاة تكون له ذخرًا، واجزه عنا الجزاء الأوفى. اللهم أحينا سعداء، وتوفنا شهداء، واجعلنا سعداء مرزوقين، ولا تجعلنا أشقياء مرجومين".

8. **ولاية العهد**: وقد أخذ البيعة لإبنه الأمين عام 175 وهو أصغر من أخيه المأمون وذلك بتأثير من أم الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور ابنة عم الرشيد، ثم بايع للمأمون بن مراجل (أم ولد) عام 183 بتأثير من جعفر بن يحيى البرمكي ومن بعدهما القاسم المؤتمن بتأثير من عبد الملك بن صالح مربيه عام 186. وقد ولّى الرشيد المأمون خراسان وكافة أعمال المشرق، وولى المؤتمن الجزيرة والثغور وكان الأمين في الخامسة من عمره حين ولاّه أبوه العهد. وقد خشي الرشيد من الصراع بين ابنيه فأخذ البيعة وعلّقها في الكعبة حين حجّ عام 186. ولكن ذلك لم يمنع ما حدث بينهما بعد.

9. **وفاة الرشيد**: خرج الرشيد إلى قتال رافع بن الليث، ولكن المنية وافته في طوس عام 193

محمد (الأمين) بن هارون (الرشيد) هارون بن محمد (المهدى) (193-198):

1. **الأمين**: تمت البيعة له بعد وفاة الرشيد، وأمه زبيدة ابنة عم الرشيد، وهو عربي أصيل. وقد استمر في الخلافة 5 سنوات كانت كلها حرب بينه وبين أخيه المأمون حتى قتل وعمره لا يتعدى 28 عاما!

2. **الأزمة**: تأزمت الأمور بين الأخوين بمجرد تولى الأمين الخلافة. ومن الضرورى أن نشير إلى أنه كانت هناك أسباب عديدة أدّت إلى هذا العداء القاتل بينهما، نذكرها فيما يلي:

   a. **ولاية العهد**: وقد ارتكب الرشيد أخطاءاً عدة في هذا الأمر، أولها أنه اتبعَ رأياً فاسداً يقول بأحقية من أمّه عربية على غيره، واستمع لوسوسة زبيدة في هذا الشأن، فولى الأمين وهو أصغر من أخيه المأمون، ولمّا أراد أن يصلح ما فعل أعطى المأمون السيطرة على ولايات كثيرة وقوية ممّا قوّاه ومنعه بين من هم أحرياء أن يمنعوه من أهل رحمه من فارس إذ أن أمه فارسية. ولم ينفعه ما

كتب من أمان وعهد وعلّقه على الكعبة وأشهد عليه الناس، ثم عيّن أخا ثالثا لهما فوسّع رقعة الخلاف. ثم أمر آخر وقع فيه الرشيد وهو عدم كشفه لأمر الفضل بن الربيع، الذي أغراه بنكب البرامكة مع فضلهم وإخلاصهم ثم تعيينه بدلا منهم، والفضل هذا هو من أفسد الأمر من بعد بين الأخوين، ثم أمر اشترك فيه كل خليفة بل كل صاحب ملك وهو انشغالهم بتعيين أبنائهم من بعدهم، فلم يعتبر منهم أحد بما في ذلك من خطر على الأبناء للمنافسة بينهم من ناحية وبين أبناء العائلة الواحدة من جانب آخر، ولكن قليلٌ من اتعظ بغيره.

b. **العصبية العربية والفارسية**: وأثرها واضح في الصراع الناشئ بين الأخوين، إذ تحيّزت للأمين عصبية عربية تمثلت في **الفضل بن الربيع** بن يونس رغم أنه أصلا من موالي كيسان وكان جده مولى لعثمان، وكان الفضل وزيرا وناصحا للأمين، ووقف بجانب المأمون الخرسانيون وعلى رأسهم أبو العباس **الفضل بن سهل** السرخسي، نسبة إلى مدينة (سرخس) بخراسان. وهو وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في حياته وأسلم على يديه سنة 190 هـ وكان مجوسيا، وكان حازما، من الأكفاء. وقد كان يحلم بإعادة القوة إلى خراسان وأن تنتقل العاصمة إلى مرو، حيث كان المنصور يتخذها عاصمة لبعض الوقت قبل إنشاء بغداد.

c. **أثرالحاشية السيئة**: وتمثلت في النصيحة السيئة للفضل بن الربيع هو وعلي بن عيسى بن ماهان للأمين أن يخلع أخاه المأمون ومن قبله أخيه المؤتمن.

3. النزاع بين الأخوين:

a. **الفترة الأولى السلمية:** وكانت تتمثل في مكاتبات بينهما بدأت بمحاولة كلّ منهما أن يظهر الود والأمان لأخيه، إلا أن الأمين كان قد عزم على الغدر منذ اللحظة الأولى، بل إنه قد صرّح بهذه النية للفضل بن الربيع بعد أن حلف اليمين في مكة في حضرة أبيه الرشيد! وما أن تمت البيعة له حتى بدأ في محاولة سلب أخيه المأمون من سلطته فأمر من كان مع المأمون في طوس حين وفاة أبيه من القواد بالتوجه إلى بغداد بعدتهم وعتادهم، ففعل الكثير منهم مما أحزن المأمون ولكن الفضل بن سهل أقنعه بأن الأمر لم يخرج من يدهم بعد، وأنه سيفعل كل ما يمكن ليضمن له ولاية العهد. ثم استمرت المكاتبات بين الأخوين، وأرسل المأمون العديد من الهدايا العظيمة لأخيه دلالة على ولائه له، ولكن الأمين كان مدفوعا بفكرة التخلص من أخويه، فنزع ولاية العهد من أخيه القاسم المؤتمن وأخذ ما في يديه من ولايات وأموال. فلما علم ذلك المأمون عرف أن هذا الأمر لابد وأن ينتهي إلى نهاية غير سعيدة، ثم وسوس الفضل بن الربيع للأمين أن يرسل وفدا إلى المأمون يدعوه إلى خلع نفسه وأن يتنازل عن ولاية العهد لموسى بن الأمين، إلا أن الأمين رفض وأبى ذلك، ولمّا بلغ ذلك الأمين غضب، وأشار عليه الفضل أن يخلع أخاه علانية ثم بعث الفضل إلى مكة فأحضر كتاب الرشيد ومزقه، وكان ذلك من الأخطاء الجسيمة إذ أن والى مكة وكبارها كانوا ممن شهدوا عليه، فنزعوا يدهم من طاعة الأمين. وقبل أن يعلن الأمين خلع أخيه أرسل اليه أن يتنازل له عن بعض ولايات الشرق ليديرها هو ويعين عليها بعض عماله، فأشار بعض حاشية

المأمون عليه بالموافقة إلا أن الفضل بن سهل رفض وأقنعه بعدم الموافقة فرد الوفد، ثم حاول الأمين مرة أخرى أن يفرض سيطرته على كور خراسان فأرسل إلى عامل المأمون على إحدى المدن أن يرسل له بعض الطرف ففعل، فعزله المأمون، ثم أمر الأمين أن لا يدعو الخطباء للمأمون وأن يدعو لإبنه موسى، وأعلن خلعه، فخلعه المأمون ومسح إسمه من الكتب، وبدأ كل فريق يستعد للحرب التي أصبحت لا مفر منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

b. **الفترة الثانية العسكرية**: جهز الأمين جيشا بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لقتال المأمون، وكانت تلك غلطة أخرى من غلطاته، إذ أن الخرسانيون يكرهون عيسى منذ أن كان واليا عليهم أيام الرشيد، وأخرج المأمون جيشا بقيادة طاهر بن عيسى الخزاعي، وتلاقى الجيشان قرب مدينة الري وتقاتلا قتالا شديدا وانهزم جيش علي بن عيسى ثم قتل، وبلغ ذلك الأمين، فجهز جيشا آخر وأمّر عليه عبد الرحمن بن جبلة الأنباري وتلاقى الجيشان وانهزم جيش عبد الرحمن، ثم حاول الأمين أن يثير نخوة العرب فأرسل إلى أحمد بن مزيد بن يزيد (الذي قتل الوليد بن طريف الشاري الخارجي) فجهز له جيشا وأمره بالخروج فخرج وعسكر في حلوان، ولكن طاهر استطاع أن يبث جواسيس توقع بين جند أحمد حتى تقاتلوا فيما بينهم وانهزموا دون قتال طاهر، وكان المأمون قد أرسل جيشا بقيادة هرثمة بن أعين (قائد الرشيد) لمساعدة طاهر وحصار بغداد، وقد حاول الأمين كذلك أن يجمّع جيشا من العرب في الجزيرة إلا أنه لم يفلح، وحوصرت بغداد عام 196 واشتد الحصار على أهلها وخربت المدينة وانتشرت الجريمة إذ أن الأمين استعان بالمساجين لتكوين جيش فعاثوا فسادا، وكتب كثير من الشعراء في وصف المعاناة التي عاناها أهل بغداد ومنهم عمرو بن عبد الملك الوراق:

من ذا أصابك يا بغداد بالعيـــن	**ألم تكونـــي زمانـاً قـرة العيــنِ**
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهـــم	**كـــم قربهمُ زينـــا مـن الزيــنِ**
صاح الغراب بها بالبين فافترقت	**ماذا لقيت بهم مـن لوعـة البيـــنِ**
أستودع الله قومـــاً ما ذكرتهـــم	**إلا تحدر مـــــاء العين من عينـي**
كانوا ففرقهم دهـــــر وصدّعهم	**والدهر يصدع ما بين الفريقيـــنِ**

ولمّا فقد الأمين ماله وتعذر الحال في بغداد نصحه الناس أن يطلب الأمان لنفسه وأن يسلم، فرضي أن يسلم نفسه إلى هرثمة إذ أنه علم أن طاهر لا يرحم، ولكن طاهر أرسل مجموعة من الخرسانية قبعوا له عند خروجه في مركب هرثمة وقتلوه.

4. **خلق الأمين**: لا شك أن الأمين كان يضمر الغدر بأخيه وأنه لم يحفظ عهد أبيه، ثم أنه لم يلقي بالا للحكم، فبينما المأمون يجالس العلماء والفقهاء ويجدير أمور ولاياته، كان الأمين يجلس للشراب والغناء ويبذر المال بلا حساب، فكانت نهايته ما كانت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عبد الله (المأمون) بن هارون (الرشيد) هارون بن محمد (المهدي) (198-218):

1. **المأمون**: هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد وأمه مراجل الفارسية (أم ولد)ن ولي العهد عام 183 ثم بويع بالخلافة عام 198 بعد مقتل أخيه الأمين. وكان محبا للعلم والعلماء، ولكن يجب التنويه بخلفيته التي تربى فيها لمعرفة الأسباب التي أدت إلى ما دار في زمانه. فقد كان الرشيد قد وضع المأمون في حجر جعفر البرمكي يربيه ويرعاه، فلما مات تولاه الفضل بن سهل ولازمه ووجهه. وقد كان كلا من جعفر والفضل من المتشيعين، وأصحاب الهوى العلوي، ويجب أن ندرك أن الهوى العلوي هنا ليس محبة في سنة ولا تقربا إلى الله فإن غالب الرافضة ممن تعصب للبيت العلوي ولكن لأن ذلك كان مدخلا لهم لإعادة القوة إلى فارس حيث أن العقيدة الفارسية وجدت طريقها إلى العقيدة الإسلامية من خلال النظرة إلى أولاد علي ورفعهم إلى مرتبة الآلهة فتبنوا الدعوة العلوية، وزينوا لأبناء عليّ الخروج وكان أتباعهم ممن اختلط أمرهم، فأكثرهم من ذووا الأهواء الرافضية ومنهم من أخلص للدعوة. كذلك فلا يخفى أنهم اتخذوا الشعار الأخضر وهو شعار الفرس بدلا من الأبيض الذي كان لباس عليّ وأبنائه. كان هذا هو الجو الذي أحاط بالمأمون فكان هواه علويا رغم أنه عباسيّ أصيل. وكان لذلك أكبر الأثر على مجريات الأحداث.

2. **الحاشية**: سبق أن ذكرنا أن الفضل بن سهل كان الناصح الأمين للمأمون، وأنه هيأ له سبل النجاح لتولى الخلافة، إلا أن ذلك كان لغرض الوصول إلى مطامعه، وكان أن أراد المأمون أن يجازى الفضل فولاه كل أمره وأصبح هو لا قوة له ولا أثر، وسماه "ذو الرياستين" أي رياسة السيف والقلم، ولكن الفضل نصح المأمون أن يظل بخراسان وألا يعود لبغداد، وذلك تمهيداً لنقل الخلافة إلى مرو كما دبّر كما كانت أهواؤه الفارسية لا تخفى إذ كان قد جعل لنفسه كرسي ذو جناحان يجلس عليه ويحمله عليه الرجال وهي عادة كسروية. وقد كتم عن المأمون كل مجريات الأحداث في بغداد وفي أنحاء الدولة ليصرفها بمعرفته. وكان أول ما فعل أن أبعد القائدين العظيمين هرثمة بن أعين وطاهر بن الحسين.

3. **الحركات المعادية للعباسيين**:

   a. **حركة أبي السرايا**: وهي حركة علوية دعت إلى محمد بن إبراهيم بن إسماعيل من ولد الحسن بن علي، خرج في بالكوفة، وقد انتهز مؤسسها أبو السرايا السري بن منصور الشيباني الصراع الدائر بين الأمين والمأمون وغلب على البصرة والحجاز واليمن ولكن كانت حركته تتسم بإراقة الدم والعنف وقد أرسل الفضل بن سهل جيشا بقيادة زهير بن المسيب فغلبه أبو السرايا الذي كان قائدا في جيش هرثمة من بل ثم تركه لمّا تأخرت رواتبه. ثم أرسل الفضل جيشا آخر بقيادة عبدوس بن محمد المروزي ولكن أبو السرايا هزمه كذلك، ولمّا علم الفضل بذلك لم يكن له بد من أن يدعو هرثمة بن أعين مرة أخرى ويطلب منه مواجهة أبو السرايا خاصة وأن شرّه استفحل وضاق أهل مكة والمدينة بأفعاله، ومن معه ممن ينتسب للطالبيين حتى أنه خلع كسوة الكعبة

وكساها بكسوة جديدة عليها شعارات معادية للعباسيين وكان قد قتل محمد بن إبراهيم وعين مكانه ولد من أولاد علي هو محمد بن محمد بن زيد العلوي. وأخيرا التقى هرثمة بجيش أبو السرايا فهزمه وقتل أبو السرايا بفضل الله سبحانه ثم قوة هرثمة وخبرته. ولكن الفضل لم يكن مخلصا في دعوة هرثمة للساحة مرة أخرى فكان لا يزال يوغر صدر المأمون عليه ويوهمه أنه يريد أن يخرج عليه وأن ينصر عليه غيره من بيت العباس، وصمم هرثمة أن يرجع إلى خراسان ليقابل المأمون بنفسه ليخبره بما يدور في مملكته ولكن المأمون كان قد انخدع بأقوال الفضل فما أن دخل هرثمة خراسان قبض عليه المأمون وقتله دون وجه حق.

b. **محمد بن جعفر الصادق**: لمّا فقد الناس في الحجاز الأمل في المأمون أرغموا محمد بن جعفر الصادق على أن يولى نفسه وبايعوه بالخلافة في وقت أبو السرايا، إلا أنه لم يكن له من الأمر شيء. ثم طلب الأمان من بعد حين انتهزم أبو السرايا وخلع نفسه في مكة أمام الناس.

c. **الأوضاع في بغداد**: كانت الأوضاع في بغداد تزداد سوءا بعد مقتل الأمين، وأمر الفضل كل من هرثمة وطاهر بالعودة إلى خراسان، إذ أنه كان لابد من وجود قائد قوي يمسك بزمام الأمور فيها، فشاعت الفوضى واضطربت الأوضاع وعاش أهل بغداد أياما سوداء حتى خرج فيها رجلان أسس كلّ منهما حركة إسلامية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما: خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري، فكون كل منهما فرقة من الرجال لحماية الناس وكف الرعاع، إلا أن الفرق بينهما أن خالداً كان يقصد معاونة السلطات في تحقيق الأمن، ولكن سهلاً كان يقصد إلى الأمر بالمعروف بعامة حتى على السلطان.

d. **بيعة عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق:** وهي ليست معادية للمأمون إذ هو الذي تولاها، فقد عرفنا هوى المأمون العلوي مما بلغ به أن يبايع علي الرضا من بعده، وقد كان قد نذر أن يعيد الأمر للعلويين إن ظفر بأخيه الأمين، فلما انتصر لم يكن أمامه إلا ذلك، ولبس الخضار وكتب البيعة لعليّ مما أثار حنق العباسيين وأهل بغداد عامة، كما أن علي الرضا لم يكن راغبا في هذا الأمر، فنصح للمأمون وبيّن له تآمر الفضل والأوضاع في بغداد وسائر المملكة نتيجة سياسة الفضل، وسأله أن يتحقق من هذا من قواده الآخرين، فأخبروه بصحة هذه الأنباء، وبأن هرثمة لم يرد إلا إصلاحا، بعد أن أمّنهم من بطش الفضل، فكان أن دبر المأمون قتل الفضل في حمامه على يد عدد من خدمه ويحكى أنه قتل الخدم بعد ذلك حتى يثبت أنه لم يوعز لهم بذلك، وعزى الحسن بن سهل أخي الفضل وعينه مكانه، ثم خرج متوجها إلى بغداد.

e. **حركة نصر بن شيث:** وهو قائد عربي خرج على الأمين لميله إلى الفرس، وقوي أمره واضطر المأمون إلى أن يندب لحربه طاهر بن الحسين بعد أن استرضاه وولاه وابنه خراسان والرقة ومصر وما ورائها، فحاربه طاهر وضيّق عليه الخناق، حتى اضطر إلى الإستسلام ولم يوافق على متابعة العلويين في دعواهم لهواه العلوي ثم تركه الخليفة.

f. **حركة الزط:** الزط هم جماعة من الموالى الذين رزحوا تحت وطأة الحكم الأموي أولا ثم الحكم العباسي ثانية وقد وجدوا الفرصة سانحة للثورة في إبان صراع الأخوين، ثم اشتدت شوكتهم وكانوا من الحزق بمكان فكانوا يختفون في الجبال والبراري حين مواجهة الجيوش، ولم يستطع المأمون أن يقضى عليهم حتى أيام المعتصم أخيه.

g. **مصر:** قامت في مصر اضطرابات بَدَتْ من عام 206، حيث أجّج السري بن الحكم العداوة بين القيسية واليمنية، وساد مصر الإضطراب، فأرسل المأمون أخاه المعتصم ليتصدى للثورة في الصعيد، ونجح في إخمادها ولكن لم يقض عليها تماما فتجددت الإضطرابات مما جعل المأمون يتوجه بنفسه لمصر ويضع حدا للإضطرابات ويسبى العديد من النصارى ويعزل صاحب الخراج الذي تسبب في هذه الثورة.

h. **بابك الخرّميّ:** البابكية حركة دينية الطبيعة سياسية المظهر، قصدت إلى هدم العقيدة الإسلامية لصالح عقيدة الفرس والمانوية القديمة، آمن أتباعها بالتناسخ، وبحل الحرمات وإباحة التمتع وأن الرسل كلهم يحملون روحا واحدة يتبادلونها! وأن الوحي لم ينقطع وأن كل من آمن بإله فهو ناج من أهل الجنة. وقد ظهر بابك عام 201، وقد اتبعه الكثير من الفرس وانتشرت دعوته في بلاد فارس ولم تنجح حملات المأمون في القضاء عليها، حتى وفاته.

4. **الحياة الفكرية والعلمية في أيام المأمون:** كانت فترة حكم المأمون أخصب الفترات التي مرت بالعصر العباسي إذ أنه كان يشجع العلماء وينفق على طلبة العلم ويجالسهم في كل وقت، كما أنه شجّع حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية فترجمت أمهات الكتب اليونانية والرومانية وكانت الدولة تشترى الكتب وتدفع فيها الغالي من الثمن. وقد أثرت الثقافات المختلفة في الإتجاهات الفكرية الإسلامية ومنشأ البدع فتأثرت الصوفية بالثقافات الهندية وبالأفلاطونية الجديدة ورائدها أفلوطين[15]، كما تأثر الإعتزال بالفكر الإغريقي ومنشأ علم الكلام من المنطق اليوناني. وكان رواد حركة الترجمة حنين بن اسحاق وابنه اسحاق وثابت بن قرّة، كما كانت هناك عائلات تتبنى العلم كبني شاكر (محمد وأحمد والحسن) وبني المنجم الذين ولعوا بالفيزياء والفلك، كما ظهر الخوارزميّ الرياضي وانتقلت الأعداد الهندية إلى العرب، وأبو سليمان المنطقي السجستاني، وأجرى المأمون التجارب لإثبات كروية الأرض ومدى هذه الكروية، وقد برز في هذا العصر ومثّله ثلاثة من أقوى مفكرى الإسلام وهم الجاحظ المعتزلي، صاحب الحيوان والبيان والتبيين وأخبار الحمقى والمغفلين والبخلاء وغيرها مما يدل على موسوعية فكره رغم اعتزاليته، وهو القائل بمبدأ الصرفة، وثانيهما: ابن قتيبة زعيم أهل السنة في عصره صاحب عيون الأخبار ومختلف الحديث وغيرهما، ثم أبو حنيفة الدينورى الأديب العالم المؤرخ. وهذا الإتجاه العلمي لدى المأمون مع خلفيته الفارسية العلوية، جعلته ينحى منحى الإعتزال ويضرب العالم الإسلامي بما أصابه بشلل سنيّ تصدى له بن حنبل رحمة الله عليه. ويجب أن نبين هنا أن العلاقة بين الإعتزال والمذهب الشيعي علاقة قديمة ترجع في نظر عدد من المؤرخين إلى بداية الإعتزال الذي نشأ حول الحديث عن مرتكب المعصية ومكانته وهو سؤال كانت

[15] أفلوطين فيلسوف يوناني عاش بمصر ثم عاد إلى روما، وفلسفته تتركز في مفهوم الفيض والإشراق الإلهي على الوجود وأن الوجود هو الخير وأن الموجودات تتدرج في مراحل من العليا إلى السفلى وهي فكرة وحدة الوجود.

الطالبية والرافضة يديرونه ويقصدون به موقف معاوية من عليّ رضى الله عنهما، وقد كان موقف الرافضة واضح وهو تكفير الفئة الباغية، بل وتكفير كل الصحابة تواطئهم على عدم تولية عليّ، إلا أن المعتزلة وقفت موقفا بين ذلك وبين أهل السنة الذين يجلّون الصحابة وهو أن مرتكب الكبيرة فاسق وهو في "منزلة بين المنزلتين" لا هو كافر كما قالت الشيعة والخوارج، على تنافر ما بينهما، ولا هو مسلم عاص كما قالت أهل السنة. كذلك تواطأت أقوال المعتزلة مع الشيعة في رأيهم في الخلافة وأنها حق لأهل البيت، كما تواطأت أقوالهم في موقفهم من النص والعقل فتوافقا على أن العقل مقدم على الشرع (عجبا للرافضة وهم أهل كل ما هو ليس بمعقول في دينهم!!) وإنما قالت الشيعة بذلك ليمكنهم ردّ الأخبار الصحيحة التي لا توافق موقفهم من الصحابة، كما قالت به المعتزلة ليجارى أهواءهم في ردّ النصوص التي تثبت مشيئة الله سبحانه وقضاؤه وقدره، وخلقه لفعل العباد كما قال تعالى:" والله خلقكم وما تعملون" مع تسليم أهل السنة بحرية الإنسان في الإختيار حرية لا تصادم مشيئة الله ولا تعلو عليها بل تتحق من خلالها وبها، وليس هذا موضع التفصيل في هذا الأمر. اتفقت إذن الشيعة والمعتزلة على أسس ومبادئ عامة، ثم التقتا معا سياسياً في عصر المأمون الذي مال للإعتزال كمذهب ديني، من خلال فتنة خلق القرآن، والتي تولى كبرها قاضيه أحمد بن أبي دؤواد. وقد أقنع بن أبي دؤاد المأمون أن ينشر هذا المذهب بالسيف وأن يمتحن العلماء في القول بخلق القرآن وهو ما دعا اليه من قبل الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان ومن بعدهما المعتزلة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. وامتحن المأمون الفقهاء في أرجاء الدولة فمنهم من خشي العاقبة ومنهم من ثبت ومات دون السنة، وعلى رأسهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ناصر السنة فإنه قد ثبت للفتنة وحبسه المأمون وضربه وظل محبوسا مضروبا في خلافة المعتصم ثم الواثق حتى جاء المتوكل فأمر بإخراجه وأكرمه وأعاد للسنة مكانتها، ويا للعجب من هؤلاء الذين يتغنى بفضلهم أشباه العلماء اليوم على أنهم أنصار الحرية الإنسانية وهم الذين روعوا الناس وامتحنوهم في عقائدهم وأنكروا عليهم حرية الإرادة التي أرادوا أن يجبروهم على أن يؤمنوا باستقلاليتها حتى عن مشيئة الله وقدرته! ولكن البدعة هي البدعة، لا عقل لها!

وقد امتحن مع أحمد محمد بن نوح فكانا هما الذين ثبتا في هذه المحنة إلا أن محمد مات بعدها، كذلك امتحن البويطي صاحب الشافعي الأشهر وأحضر من مصر وضرب في عهد الواثق ومات في السجن 231. وقد ضجّ من هذ المسألة الواثق وأصبحت مهزلة يتندر بها المضحكون في مجالس الخليفة مثل ما ورد عن عبادة المضحك حين دخل على الواثق فقال له: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، قال: فيمن؟ قال: في القرآن فقد مات، قال الواثق: ويحك، أيموت القرآن؟ قال عبادة: يا أمير المؤمنين، كل مخلوق يموت، بالله عليك بما نقرأ الان في صلاتنا وفي التراويح، فضحك الواثق وقال: ويحك أمسك. كذلك فإن رجلا شيخا جيئ به ليمتحن فقال له ابن أبي دؤاد: ما تقول في خلق القرآن؟ قال: أسألك أنت، هل هذه المسألة مما علم رسول الله وصحابته معه؟ قال بن أبي دؤاد: نعم، قال الشيخ: أسألك الله، هل تكلموا فيها أم تركوها؟ قال بن أبي دؤاد: بل تركوها، قال الشيخ: أفلا يسعك ما وسعهم؟ فسكت بن ابي دؤاد ولم يحر جواباً، وصار الواثق يكرر: ألا يسعك ما وسعهم، وأطلق سراح الرجل.

5. **عودة المأمون إلى بغداد**: في طريق عودة المأمون إلى بغداد، قتل الفضل بن سهل، ثم مات عليّ الرضا فجأة عام 203، ودفنه المأمون وصلى عليه، واتهمته الرافضة أنه سمّه. وقد حاول المأمون أن يظل مخلصا

للعلويين ولابسا للخضار إلا أن أهل بغداد وعلمائها وبني هاشم أبوا عليه ذلك فخلعه ولبس السواد شعار العباسيين مرة أخرى.

a. **زواجه بوران بنت الحسن بن سهل**: وهو زواج لم ير التاريخ مثله إذ أنفق الحسن على هذا الزواج 50 مليونا درهم، وتحكى العجائب عن هذا الحفل.

6. **البيزنطيون**: قاد المأمون وابنه العباس عدة حملات على الدولة البيزنطية وفتحوا عدة مدن إلا أن الحالة العامة كانت إلى الخمود على هذه الجبهة لإنشغال المأمون وميخائيل الثاني كليهما بالمشاكل الداخلية.

7. **خلق المأمون**: كان المأمون مثالا في الحلم والعفو، وكان يحب العفو ويلتذ به حتى أنه عفا عن الفضل بن الربيع الذي تسبب في كل هذه المآسي بينه وبين أخيه وسجد لله شكرا أنه سبحانه ألهمه العفو عنه، وكان ميالا إلى الإقناع في الجدل كما كان لا ينخدع بالرياء ولا يحبه، وكان شاعرا يفهم الشعر ويقدّره، ويبتدر الشعراء بين يديه بقوافي الأبيات، حكي أن عمارة بن عقيل حكى عن عبد الله بن أبي السبط أنه قال فيه شعرا لم يتحرك له المأمون جاء فيه

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له عمارة والله إنك جعلته من عجائز المحاريب! هلا قلت فيه ما قال جرير في عبد العزيز بن الوليد

فلا هو في الدنيا مضّيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

8. **وفاة المأمون**: بايع المأمون أخاه المعتصم قبل وفاته وهو أصغر منه بتسعة أعوام، ولم يبايع لإبنه العباس أو لإثنين من بعده! وتوفي وهو في الغزو ببلاد البيزنطيين ودفن في طرسوس عام 218.

محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) (218-227):

1. **المعتصم أبو إسحاق**: ويلقب بالمثمن octaginist وأمه تركية، كان لا يحسن الكتابة ولكنه كان شجاعا مقداماً، مولعا بالعمارة والزراعة. كان مستبدا عادلا عطوفا قويا شجاعا لا يخشى الأعداء.

2. **وزراء المعتصم:**

a. **الفضل بن مروان بن ماسرخس**: وهو نصراني أسلم وكان كاتبا للمعتصم قبل الخلافة ثم أحسن الأمر عقب وفاة المأمون بأخذ البيعة في بغداد للمعتصم وتنظيم الأمور له، إلا أنه كان مستهترا بالمعتصم ولا يطيعه في كثير من الأمر، حتى أن مضحك المعتصم قال له يوما: إنك لا تفلح! قال: لم؟ قال: إن أمرك لا يتجاوز أذنك بل الخليفة الفضل بن مروان. قال وما الذي لا يطيعني فيه؟ قال: أمرت لي بعطاء منذ شهرين ولم يصلني، فأسرها لمعتصم وكان في نفسه الكثير من الفضل، فعيّن على الفضل حراسا وحاسبه وأهله على مالهم، ثم حبسه حتى مات.

b. **أحمد بن عمار الخرساني**: وكان عاميا لا يعرف كثيرا من الكتابة، فاحتاج المعتصم لمن يعينه إذ هو ونفسه ضعيف العلم فقال: خليفة أمي ووزير عامي! ثم خلعه وعيّن الزيات.

c. **محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات**: وهو من أشهر الوزراء والكتاب في كافة العصور، وقد عينه المنصور بعد أن سأل أحمد بن عمار عن معنى الكلأ فلم يعرف فقال الزيات: الكلأ هو والعشب، فإن كان رطبا فهو الخلأ وإن يبس فهو الحشيش ثم استرسل في تقسيم أنواع النبـاتات فأعجب به المعتصم واستوزره. وكان الزيات من الشعراء وكان أجود من يمتب وله أسلوب خاص به اصطنعه وعرف عنه، ومن جميل شعره ما قاله في ابن له ماتت أمه وهو بن ثمان:

وبات وحيدا في الفراش تجيبـه   بلابل قلب دائم الخفقـــــــانِ

فهبني أطلت الصبر عنها لأنني   جليد فمن للصبر بابن ثمـــانِ

ضعيف القوى لا يعرف الصبر جســمه ولا يأتسي بالناس في الحدثانِ

وقد مدحه الكثير من الشعراء

d. **أحمد بن أبي دؤاد**: ولم يكن وزيرا ولكنه كان أقوى من الوزراء لدى المعتصم وقد أوصى المأمون اخيه المعتصم بأن يحسن اليه وأن يقربه ويستشيره، وكان أحمد عربيا قويا شجاعا حليما عالما لا يشينه إلا ما وقع فيه من الإعتزال وفتنة القرآن، وجل من له الكمال. وكان يعين المعتصم على حدته، وكان المعتصم يطيعه طاعة تامة ولا يرد له أمر مهما كان، وحكى أن الأفشين، قائد المعتصمن كان فيه كراهة للشاعر المعروف أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، فدبر له مكيدة وأراد قتله فسمع بها أحمد فخرج مسرعا إلى محل الأفشين ولم يتوجه إلى المعتصم أولا إذ خشي أن يفوت الوقت فقال للإفشين/ جئتك من المعتصم وهو يريد أن تبعث له ابي دلف قبل أن تمسه بسوء وأشهد من حضر أنه أدى الرسالة وابي دلف حي يرزق، ثم خرج لتوه إلى المعتصم فأخبره بما فعل فأجازه وعنّف الأفشين على فعلته.

3. قواد جيوش المعتصم:

a. **الأفشين حيدر بن كاوس**: وهو تركي شركسي، أبلى بلاء حسنا في عهد المأمون في حرب بابك عام 220، بعد أن أظهر ولاء وشجاعة في خدمة المعتصم، وقد حارب بابك وهزمه واستعمل خططا ماهرة بينت تمرسه بالحرب حتى هزمه عام 223 وأرسله إلى الخليفة في مدينته الجديدة سامراء، فقطع رأسه. ثم أن الأفشين هذا كان لا يزال زنديقا على دينه القديم وقد حاول أن يستغل العداوة بين أحد ملوك الشرق **مازيار** وبين عائلة طاهر بن الحسين ليوقع بينهم فيوليه المعتصم خراسان بدلا منهم ولكن المعتصم علم بمكيدته وأنه شجع مازيار على الثورة فأرسل جيوشا للقضاء على مازيار وقتله ثم قبض على الأفشين وحبس حتى مات عام 226.

b. **إيتاخ**: اشتراه المعتصم من مولاه ورقاه لما علم شجاعته وكان أحد قواد الفرق الثلاثة التي هاجمت عمورية، وكان بيده الجيش والبريد والحجابة ودار الخلافة، وقتل في أول عهد المتوكل 235.

c. **أشناس**: تركي اشتراه المعتصم ورقّاه وكان على رأس الجيش في عمورية وزوجه ابنة الإفشين وظل كذلك ايام الواثق حتى مات 230.

4. **خطأ المعتصم في جلب الأتراك**: ويتحمل المعصم ما حلّ بالدولة من اضطراب نتيجة الإعتماد على الأتراك وتسييرهم أمور الدولة وهي دولة عربية أصيلة وكان ما كان من أمر سوء العلاقة بين العباسيين والخرسابيين وكذلك عدم ثقة المعتصم بالعرب مما أدى إلى محاولات إغتياله على يد العباس بن المأمون، فأبعد العرب والفرس وأوقع الدولة في يد الترك الأغراب عن الدولة. وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور الدول الإنفصالية عن الدولة والتي ظهرت في عهد المعتصم ثم تكرست عقب مقتل المتوكل.

a. **أبي حرب المبرقع** الذي ثار على الدولة لأن جنديا تركيا أراد أن ينزل في بيته في غيبته فمنعته إمرأة أبي حرب فضربها بالسوط ولما عاد أبو حرب، قتل الجندي ولبس برقعا وخرج فاجتمع معه ناس فأرسل اليه المعتصم جيشا فأسره.

5. **الأحوال الداخلية**:

a. **الطالبيون**: مات في عهده محمد الجواد بن علي الرضا، وكان زوجا لإبنة أخيه المأمون، أم الفضل، فحملت إلى بيت عمها وأكرمها، وتولى الإمامة أبو والحسن علي الهادي بن محمد الجواد وكان عمره سبع سنوات. وخرج في أيام المعتصم من الزيدية محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين. فأرسل اليه عبد الله بن طاهر والى خراسان فهزمه وحبسه المعتصمحتى عام 219 فهرب ولم يظهر بعدها.

b. **بناء سامراء**: لم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم. واختار المعتصم لعاصمته الجديدة مكانا يبعد 130 كم رأسا من شمال بغداد، شرقي نهر دجلة، وشرع في تخطيط عاصمته سنة (221هـ= 836م) وبعث إليها بالمهندسين والبنّاءين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء. وعُني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمها باعتبارها مركزا حضاريا ومعسكرا لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو 19 كم، وكان تخطيط المدينة رائعا، يتجلى في شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم 19 كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريبا. وعُنِي المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة، وشجع قادته على المساهمة في

الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمعا للصناعات المعروفة في عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة مثلما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل شارع الخليج الذي على دجلة رصيفًا ومرسى لسفن التجارة. وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ "سُرّ مَن رأى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها. وتكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري.

c. **وامعتصماه.. فتح عمورية:** استغل الروم انشغال الخليفة المعتصم في القضاء على فتنة بابك الخرمي، وجهزوا جيشا ضخما قاده ملك الروم، بلغ أكثر من مائة ألف جندي، هاجم شمال الشام والجزيرة، ودخل مدينة "زِبَطْرة" التي تقع على الثغور، وكانت تخرج منها الغزوات ضد الروم، وقتل الجيش الرومي من بداخل حصون المدينة من الرجال، وانتقل إلى "ملطية" المجاورة فأغار عليها، وعلى كثير من الحصون، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين، وسَمَلَ أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة. وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أسماع الخليفة، وحكى الهاربون الفظائع التي ارتكبها الروم مع السكان العزل؛ فتحرك على الفور، وأمر بعمامة الغزاة فاعتم بها ونادى لساعته بالنفير والاستعداد للحرب. ويذكر بعض الرواة أن امرأة ممن وقعت في أسر الروم قالت: وامعتصماه، فنُقل إليه ذلك الحديث، وفي يده قَدَح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه، ونادى بالاستعداد للحرب. وخرج المعتصم على رأس جيش كبير، وجهّزه بما لم يعدّه أحد من قبله من السلاح والمؤن وآلات الحرب والحصار، حتى وصل إلى منطقة الثغور، ودمّرت جيوشه مدينة أنقرة ثم اتجهت إلى عمورية في (جمادى الأولى 223هـ= أبريل 838م) وضربت حصارا على المدينة المنيعة دام نصف عام تقريبا، ذاقت خلاله الأهوال حتى استسلمت المدينة، ودخلها المسلمون في (17 من رمضان سنة 223هـ= 13 من أغسطس 838م) بعد أن قُتل من أهلها ثلاثون ألفا، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وأمر الخليفة المعتصم بهدم أسوار المدينة المنيعة وأبوابها وكان لهذا الانتصار الكبير صداه في بلاد المسلمين، وخصّه كبار الشعراء بقصائد المدح، ويأتي في مقدمة ذلك، بائية أبي تمام الخالدة منها:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريبِ
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب؟
عجائباً زعموا الأيام مجلفةً ... عنهن في صفر الأصفار أورجبِ
وخوّفوا الناس من دهياء مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكبُ الغربي ذو الذنبِ
وصيّروا الأبرج العليا مرتبةً ... ما كان منلقباً أو غير منقلبِ
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةُ ... ما دار في فلكٍ منها وفي قطب
لو بينت قط أمراً قبل موقعهِ ... لم تخف ماحل بالأوثان والصلبِ

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به   نظم من الشعر أو نثر من الخطبِ
فتح تفتح أبواب السماء له   وتبرز الأرض في أثوابها القشبِ
يايوم وقعة عمورية انصرفت   عنك المنى حفلاً معولة الحلبِ
أبقيت جد بني الإسلام في صعد   والمشركين ودار الشرك في صببِ
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها   تنال إلاّ على جسرٍ من التعبِ
أبقيت بين الأصفر المصفرِّ كاسمِهِمُ   صفر الوجوه وجلت أوجه العربِ

كذلك فقد فتح المعتصم أنقرة بعد أن هزم ثيوفل امبراطور الروم عام 223هـ.

6. **وفاة المعتصم:** مات المعتصم مريضا عام 227، وولى ابنه هارون الواثق من بعده وقد رثاه بن الزيات بقوله

قد قلت إذ غيبوك واصطفقت   عليك أيد بالتراب والطين
إذهب فنعم الحفيظ كنت علـــــــــى الدنيا ونعم الظهير للدين
لا جبر الله أمة فقــــــدت   مثلك إلا بمثـــل هارون

هارون (الواثق) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (227-232):

1. **الواثــق**: أمه رومية أم ولد إسمها قراطيس، وقد كان كثير الأكل والشرب صاحب معروف يعطف على أهله يحب الجلوس للعلماء ويهوى الحديث مع العلماء والفقهاء، استمر على ما كان عليه أبوه وعّمه من إعتزال بل كانت أكثر حدة من ايام ابيه لأن المعتصم لم يكن رجل علم وكلام، وأما الواثق فكان كعمه المأمون حتى أنه لقب بالمأمون الصغير، فزادت أزمة خلق القرآن حدّة في عهده.

2. **وزراء الواثق**: لم يستوزر غير محمد بن عبد الملك بن الزيات رغم أنه كان حلف أيام ابيه أن ينكبه كنكبة البرامكة، إلا أنه وجد أنه أفضل من يسوس الدولة فابقاه وكفّر عن يمينه.

3. **الحركات الداخلية**: قامت في عهده حركات للأعراب قريب من المدينة من بني سليم، ثم من فزارة وبني مرة وبني نمير. فأرسل جيشا من مماليكه بقيادة بغا الأكبر فهزمهم وأمّن الحجيج وطرق التجارة، ثم هرب الخارجين من فزارة وبني مرة، وفي عام 232 قاتل بني نمير وكادوا أن ينتصروا على بغا ولكن حدث أمر مباغت أن عادت فرسان كان بغا قد أرسلها للإغارة فظنت بنو نمير أنه كمين وأنه أوقع بهم فانهزموا وأخذهم بغا أسرى (حوالي 2300) رجل إلى البصرة. وقد كان حكّام الولايات ذووا سلطة تكاد تكون مستقلة فكان عبد الله بن طاهر حاكما لخراسان وطبرستان وكرمان، وكان اشناس حاكما على الجزيرة والشام ومصر والغرب، وكان إيتاخ حاكما على السند ودجلة.

4. **وفاة الواثق**: كان حكم الواثق أقل من ست سنوات، وقد مرض بالإستسقاء ثم توفي، ولم يعيّن أحدا، وبموته انتهى العهد العباسي الأول، أيام كان الخلفاء لهم سيطرة وقوة ووقت كانوا يقودون الجيوش ويفتكون بالأعداء داخليا وخارجيا.

العصر العباســـي الثانــــي

عهد سيطرة الأتراك

تحليل الوضع السياسي:

كان عهد الواثق هو مفرق الطريق بين الخلافة العباسية التي تتمتع بالإستقلال والقوة وبين الخلافة الإسمية التي لا دور لها إلا الدعاء باسمها في الخطب ورسم الخليفة على النقود. وكان هذا نتيجة اعتماد الواثق على العنصر التركي بعد أن أسس ذلك المعتصم أباه لأن أمه تركية وللخطر الذي استشعره من العنصرين العربي متمثلا في حركات العلويين والعنصر الفارسي الموالي للعلويين والذي كان أبوه وعمه وجده قد تخلصا منها من قبل بنكبة البرامكة وعائلة سهل. وقد أدى هذا إلى أن سيطر القادة الأتراك على الولايات التي تحت حكمهم، ثم إنهم أرادوا البقاء في العاصمة (سامراء في هذا الوقت) ليظلوا على علم بمجريات الأمور والتخطيط لأمور الدولة، فعينوا نوابا لهم مما أدى إلى أمور منها أن هؤلاء النواب قد بالغوا في جباية الأموال حتى يرضوا رؤسائهم من الأتراك، ثم بدأت النزعات الإنفصالية تظهر في ولاياتهم لأول بادرة ممن يظهر القوة والقدرة على الإنفصال، فأدى هذا إلى ظهور الدولة الطاهرية والصفرية والسامانية في الشرق والدولة الطولونية والإخشيدية ثم الفاطمية في مصر، هذا مع استقلال دولة الأغالبة والأدارسة في المغرب والدولة الأموية في الأندلس. وقد حرصت هذه الدول على أن تظل مرتبطة اسميا بالخلافة العباسية لأنه لم تكن لها مقومات تجعلها تدعى الخلافة لنفسها دون العباسيين كما أن ذلك يقوى أمرها أمام العامة.

جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (232-247):

1. وهو أخو الواثق، وأمه أم ولد من خوارزم اسمها شجاع. وقد عينته القوى التركية بدلا من محمد بن الواثق الذى أراد أن يستخلفه الزيات وأحمد بن ابي دؤاد.

2. **وزراء المتوكل:**

   a. **محمد بن عبد الملك الزيات**: وقد كرهه المتوكل لما كان يبديه من عدم مبالاة به أيام أخيه الواثق، كما أنه أراد أن يعين محمد بن الواثق، فتركه عاما ثم قبض عليه ونكبه فأخذ كل أمواله وعقاراته وسجنه وعذبه حتى مات عام 233.

   b. **أحمد بن خالد أبا الوزير:** ولم يلبث إلا قليلا ثم حبسه وصادر أمواله.

   c. **محمد بن الفضل الجرجرائي**: وكان من أهل الفضل والعلم وظل وزيرا حتى عام 236 ثم صرفه المتوكل لأنه ملّ الشيوخ وأراد أن يستوزر شبابا!

   d. **عبيد الله بن يحي بن خاقان**: وظل وزيره حتى مات المتوكل. وقد كان الكتّاب على الخراج في غاية من الفساد حتى أن أخو الخليفة كان يرشيهم ليصرفوا له رزقه فما بالك بالفرد العادي من الناس، مما

أدى إلى تكثّر هؤلاء من الأموال إلى أن يشي أحدهم بالآخر عند الخليفة فيقبض عليه ويستولى على ماله.

e. **أحمد بن ابي دؤاد**: وقد كان عطوفا على المتوكل في عهد أخيه، فحفظ له المتوكل ذلك أول الأمر وعينه قاضى القضاة، ولكن هذا لم يدم، إذ أنه مرض ولم يقدر على العمل فقام ابنه ابو الوليد بعمله ولكنه لم يكن نزيها كوالده فغضب المتوكل، وسجنه وأبوه وأخذ مالهم وأخذ منهم رقعة بتسليم 16 مليون درهم، ثم باعوا كل ما يملكون ومات أبو الوليد في الحبس وبعده ابوه أحمد بعشرين يوما.

3. **العلويون**: قيل أن المتوكل كان ناصبيا يدين بكراهة عليّ رضى الله عنه، وأنه أمر بهدم قبر الحسين وزرعه إلا أن ذلك يمكن إرجاعه غلى محبته للسنة ورغبته في القضاء على التشيع ومظاهر تأليه عليّ وبنوه، كما أنه قد كان قد أنهى مشكلة خلق القرآن وأعزّ أحمد بن حنبل وكرمه والظاهر أنه كان يخشى العلويين وخروجهم. وحكى أنه قد سمع أن ولي العلويين في ايامه عليّ الهادي بن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم، وهو والإمام العاشر، أن له أموال كثيرة وأتباع، فأمر به فقيّد وسيق له ولكنهم لم يجدوا عنده شيئا ثم قال له المتوكل: أنشدني شعرا فقال:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهـم	**غلب الرجال فما أغنتهم القلـــل**
واسنزلوا بعد غز عن معاقلهــم	**فأودعوا حفرا يا بئسما نزلـــوا**
ناداهم صارخ من بعد ما قبـروا	**اين الأسرة والتيجان والحلـــل**
أين الوجوه التي كانت منعمـــة	**من دونها تضرب الأستار والكلل**
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	**تلك الوجوه عليها الدود يقتتـــل**
قد طالما أكلوا دهرا وما شربـوا	**فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا**
وطالما عمّروا دورا لتحصنهــم	**ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا**
وطالما كنزوا الأموال وادخـروا	**فخلفوها على الأعداء وارتحلـوا**
وأصبحت منازلهم قفرا معطلـــة	**وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا**

فبكى المتوكل ووصله وتركه.

4. **الجيش وسيطرة الأتراك**: وقد أدرك المتوكل ما آل اليه أمر الخلافة فأراد أن يعيد الأمر ليد الخليفة. فبدأ في التفكير في الخلاص من سيطرة الأتراك فبدأ بإيتاخ الذي كان يسمى السلطان، وكان قد علم أنه لا يمكن أن يقضى عليه في سامراء بين قواته، فأوعز إلى إيتاخ من زين له الخروج للحج، ووافق المتوكل وخرج إيتاخ حتى وصل بغداد فقالوا له أن المتوكل يريده أن يدخل بغداد وأن يعطى العطايا والصلات، فدخل بغداد ثم حيل بينه وبين غلمانه، واعتقل في بيت بها ومعه ولداه وكاتبه، وظل في هذا الحبس حتى مات عام 235.

5. **الدولة اليعفرية**: وهي باليمن وبدأت في أواخر عهد المتوكل، وكان جدهم نائب لعامل المعتصم في اليمن ولما مات قام ابنه يعفر فتولى أمره واستقل بالدولة واستمرت دولتهم من 247 حتى 387.

6. **العلاقات الخارجية**: ظلت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين دائرة في عهد المتوكل، فكان فيها ستة حروب يأسر بعضهم بعضا ثم يفتدون أسرى المسلمين بالعلوج البيزنطيين.

7. **ولاية العهد**: لمّا حدث ما حدث من فتك المتوكل بإيتاخ، استشعر الأتراك الخطر فبدؤا يرصدون له. وقد كان أوصى لإبنه محمد المنتصر ثم محمد المعتز ثم ابراهيم المؤيد من بعده. وقسم البلاد بينهمن فأعطى المنتصر مصر وما وراءها من أعمال شمال إفريقيا، وأعطى المعتز خراسان وما وراءها من بلاد المشرق، وأعطى المؤيد دمشق والأردن وفلسطين، وكتب بينهم كتابا مثل كتاب الرشيد!

8. **مقتل المتوكل**: انقسمت الحاشية إلى قسمين، نديمه الفتح بن خاقان ووزيره عبيد الله بن خاقان وكان هواهم مع المعتز فأوعزوا لأبيه أن يقدمه على أخيه الأكبر المنتصر، ولكن القواد الأتراك وقفوا مع المنتصر وأفهموه أن والده سينزع عنه الخلافة خاصة وأنه مرض يوما فأمر المعتز بالصلاة بدلا منه، مما أوغر عليه صدر المنتصر، فقام بغا الأصغر بالتوجه إلى قصر الخلافة ومع عشرة جنود وفتك بالمتوكل ومعه الفتح بن خاقان، وقد قال في ذلك علي بن الجهم الشاعر:

عبيد أمير المؤمنين قتلنـــــه	**وأعظـــــم آفات الملوك عبيدها**
بني هاشم صبرا لكل مصيبـة	**سيبلى على وجه الزمان جديدها**

وقال البحتري يعرّض بغدر المنتصر بأبيه:

أكان ولي العهـــد أضمر غـــــدره	**فمـــــن عجب أن ولِيَ العهد غادره**
فلا ملك الباقي تراث الذي مضــــــى	**ولا حملت ذاك الدعـــاء منابـــــره**

محمد المنتصر بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (247-248):

1. أمه رومية اسمها حبشية. وكان عمره 25 عاما حين ولي الخلافة، ولم يدم ملكه إلا ستة اشهر هي التي غنمها بالمعاونة على مقتل أبيه!

2. استوزر **أحمد بن الخصيب** وكان مغفلا شريرا لا حياء له، وكان قد ندم على نفي عبيد الله بن خاقان.

3. أشار الأتراك عليه أن ينزع الولاية من المعتز والمؤيد ففعل خوفا منهم، رغم كراهته للترك وكان يسميهم "قتلة الخلفاء".

4. عاش حياته القصيرة بعد توليه الخلافة في ألم ممض كان يوقظه من نومه ويرى أباه في المنام يبشره بالنار. وكان الناس يقرنونه بشيرويه بن كسرى قاتل أبيه الذي لم يدم ملكه إلا ستة أشهر، فكان ذلك مما أدى إلى أن ضعف جسمه جدا ومرض ومات في مرضه عام 248.

أحمد المستعين بن محمد بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (248-252):

1. إبن عمّ المنتصر، أمه صقلية اسمها مخارق. عينه الأتراك بعد أن رفضوا أن يعينوا أي من ولد المتوكل حتى لا يأخذ بثأر والدهم. ولم يخالفهم إلا بغا الأكبر إذ قال: "نجيئ بمن نهابه ونفرقه فنبقى معه، وغن جئنا بمن يخافنا حسد بعضنا بعضا فقتلنا أنفسنا" وهو ما حدث من بعد أن انشق الأتراك بعضهم على بعض.

2. لم يكن له أي شيء من النفوذ حتى قل الشاعر:

خليفة في قفــص   بين وصيف وبغا

يقول ما قالا لــه   كما تقول الببغـــا

3. **العلويون**:

a. **يحيي بن عمر بن يحيى بن الحسين**: خرج بالكوفة واجتمع معه عدد من الناس فأرسل المستعين جيشاً من قبل محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فهزمه وقتل يحيى حين سقط من مركبه.

b. **الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل**: وقد استطاع أن يستقل بطبرستان بعد أن عجز محمد بن طاهر عن هزيمته وساعده الديلم ودخلوا في طاعته وكان منهم بني بويه من بعد، وكذلك فشل وصيف قائد المستعين من هزيمته، وأقام الدولة الزيدية التي استمرت مائة عام حتى عام 355.

c. **بداية ثورة الزنج**: وقد بدأت عام 249 ثورة في البصرة يتزعمها رجل يدعي أنه من نسل زيد بن الحسين كما سنبين بعد.

4. **الجيش:** انقسم الأتراك على أنفسهم فاتفق بفا ووصيف على قتل باغر التركي وقد كان أراد أن يقتل المستعين، فعرف ذلك المستعين فقبض عليهم فصاروا يتذللون له حتى عفى عنهم ولكنه رفض أن يذهب معهم إلى سامراء فغضبوا واتفقوا على خلعه وتأمير المعتز وبالفعل بايعوه في سامراء ووقف أهل بغداد من العباسيين ومواليهم بجانب المستعين، وجهز المعتز جيشا لحرب المستعين بقيادة أخيه الموفق طلحة أبي أحمد بن المتوكل واستمرت الحرب على أسوار بغداد وحولها عاما كاملا 251، ثم بدا لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يأخذ جانب السلم فكاتب المعتز، وظنت العامة أنه خلع المستعين، ولكن المستعين ذكر لهم أن محمدا لا يزال في طاعته، إلا أن عبيد الله بن خاقان، حذر المستعين وكرّه اليه بن طاهر فلم يكن منه إلا أن يستسلم للمعتز ويشترط شروطا لحياته، وذهب إلى البصرة، إلا أن الأتراك خشوا من تركه حيا فقتلوه بمشاركة المعتز وكان من قتله هو **أحمد بن طولون** مؤسس الدولة الطولونية بعد، ومما قال الشاعر في ذلك"

خلع الخليفة أحمد بن محمـــد	**وسيقتل التالي له أو يخلـع**
ويزول ملك بني أبيه فلا يــرى	**أحد بملك منهم يستمتـــع**
أيها بني العباس إن سبيلكـــم	**في قتل أعبدكم طريق مهيع**
رقعتـم دنياكـــــم فتمزقـت	**بكـــم الحياة تمزقا لا يرقع**

محمد المعتز بن جعفر(المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (252-255):

1. وهو محمد بن المتوكل أمه أم ولد اسمها قبيحة. ولم تتم له الولاية بعد أخيه المنتصر لأنه خلعه هو وأخيه المؤيد وولى المستعين، وحكم ثلاث سنوات.

2. **وزراء المعتز**: لم يكن لهم شأن لإنحطاط قدر الخلافة نفسها، وتحكم القادة العسكريين الأتراك.

   a. **جعفر بن محمود الإسكافي**: لم يكن بشيء واختلف الأتراك بسببه فعزله المعتز.

   b. **عيسى بن فرخنشاه**: وعزل بنفس سبب سالفه

   c. **أحمد بن إسرائيل الأنباري**: وكان كاتبا حاذقاً، واستمر وزيرا حتى عام 255 ثم اتهمه صالح بن وضيف من قواد الأتراك على أنه لا يعطيهم أعطياتهم، فأخذه وقيده ولم ينفع استشفاع الخليفة ولا أمه فيه، ثم عيّن الإسكافي مرة أخرى رغم أنف المعتز.

3. **العلويون:** مات في عهده علي الرضا وتولى بعده الحسن العسكري (لسكنه في مدينة عسكر). وقامت للزيدية دولة في المشرق على يد الحسن بن زيد كما ذكرنا.

4. **الأتراك والجيش: اضطر المعتز إلى أن يعيد بغا ووصيف اللذين ساعدا عليه المستعين** ورد اليهما أموالهما، ثم قامت المغاربة فضربوا الأتراك واشتدوا عليهم حتى أصلح بينهما جعفر بن عبد الواحد، ثم استطاع الأتراك أن يقتلوا قادة المغاربة وعادت لهم السيادة. ثم إن الأتراك طلبوا أرزاقهم واتهموا بغا ووصيف بمنعها عنهم وقتلوا وصيفاً. وحضّ بغا المعتز على الذهاب إلى بغداد ليكون بين أنصار العباسيين حيث كانت بغداد بمأمن من هذه الفتن لأسباب منها أن الأتراك غلف القلوب لم يكونوا بها وأن محمد بن طاهر كان حاكما قويا، ثم إن المعتز تآمر مع صالح بن وصيف. وكما غدر المعتز بالمستعين، غدر بأخويه إبراهيم المؤيد فسجنه وقتله، وسجن أبي أحمد الموفق بن المتوكل الذي قاد الجيش وحاصر المستعين لصالح المعتز!

5. **نهاية المعتز:** وكالعادة السائدة في تلك الأيام، طالب صالح بن وصيف والأتراك معه المعتز أن يدفع لهم أموالا، ولم يكن عند المعتز مالا يعطيه فطلب من أمه أن تعطيه من ثروتها الطائلة فأبت، فدخلوا عليه وجرّوه من رجله وضربوه بالدبابيس وأوقفوه في الحرّ ثم جاؤوا بقاضي القضاة فخلع المعتز نفسه ثم منعوا عنه الطعام والشراب حتى مات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال الشاعر:

عين لا تبخلي بسفح الدموع	**واندبي خير فاجع مفجـــوع**
خانه الناصح الشفيق ونالتـــــــــــــه	**أكف الردى بحتف ســـريع**
بكر الترك ناقمين عليـــــــه	**خلعتـــه أفديه من مخـــلوع**
قتلوه ظلمـــا وجورا فألفــو	**ه كريم الأخلاق غير جزوع**

محمد المهتدي بن هارون (الواثق) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (255-256):

1. هو محمد المهتدي بن الواثق، وأمه أم ولد رومية اسمها قرب (وهو ابن عم المعتز). وقد حاول أن يصلح بين الأتراك والمعتز إلا أنه لم يقدر على ذلك فقبل الخلافة.
2. وزراء المهتدي:
   a. **جعفر بن محمود الإسكافي**: وقد أقره فترة ثم عزله.
   b. **سليمان بن وهب بن سعيد**: وهو من عائلة كانت دائما في صنعة الكتابة منذ عهد البرامكة، ثم كانوا كتابا للمأمون ثم للمعتصم، ولعائلة سهل من بعد ذلك، وكان سليمان كاتب الدنيا وعاقلها ومدحه الشعراء كالبحترى فقال فيه:

كأن آراءه والحـــــزم يتبعهــــا	**تريه كل خفيّ وهو وإعلان**
ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه	**وإن تنم عينه فالقلب يقظان**

   وكان العمال والوزراء يزينون للخليفة الإستيلاء على الأموال وأخذ أموال من العمال مقابل تعيينهم تحت اسم الإرتفاق وهي رشوة واضحة.
3. **خلع المهتدي**: وكان موسى بن بغا في حرب مع الحسن بن زيد العلوي، وكان يكره صالح بن وصيف لما فعله من خلع المعتز ثم رجع إلى سامراء وأخذ عهد الخليفة ألا يناصر صالح ثم قتل صالحا بعد أحداث جسيمة. ثم كان ما كان من المعهود، إذ طلبت الجنود الرواتب فلم يقدر المهتدي عليها، وكانت الجنود هي التي ثارت بالمطالبة وسنحت فرصة الخلافة في الخلاص من الرؤوس ولكن المهتدي لم يفعل ذلك، فاجتمعت ضده الأتراك وحاربهم مع المغاربة إلا أنه هُزم وخلعوه ثم قتلوه عام 256.

أحمد المعتمد بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (256-279):

1. وهو أخو المعتز بن المتوكل، وأمه كوفية اسمها أم ولد فتيان. وقد حكم 23 عاما حتى مات عام 279. وقد تمت مبايعته وطالبت جنود الأتراك أن يعين الخليفة إخوته على الجيوش ليضمنوا عطاياهم فعين أخاه أبا أحمد الموفق طلحة على الجيش ليمنع خلافات الأتراك فيما بينهم، وكان قائدا عظيما وقد أفاد الخلافة أكثر مما أفادها الخلفاء رغم أنه لم يتولها بنفسه، وكان هو مصرف الأمور حتى أن الخليفة أراد 300 دينار فلم يجدها! وكان هو الذي يولي الوزراء ويعزلهم لأن في يده قوة الجيش.

2. **وزراء المعتمد:**

   a. **عبيد الله بن يحي بن خاقان**: وكان من فضلاء الناس وقد مات عام 263 حين وقع عن دابته.

   b. **الحسن بن مخلد**: وكان كاتبا للموفق كذلك فاجتمعت له الوظيفتان. وكان من أفضل من كتب العربية، وكان أمينا ضابطاً، ولم يلبث أن اختلف مع موسى بن بغا فهرب إلى بغداد.

   c. **سليمان بن وهب**: وكان وزيرا للمهتدى كما أسلفنا. ثم كان أن غضب عليه المعتمد فهرب ولكن الموفق أعاده للوزارة، ثم غضب عليه الموفقّ! فعزله عام 265 وحبسه حتى مات عام 272.

   d. **أبي صقر اسماعيل بن بلبل**: وهو عربي، وكان نسبه عربي مغمور وينتسب لشيبان، فمدحه ابن الرومي بقصيدة نونية فيها:

قالوا أبا الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري ولكن منه شيبان

كم من أب علا بابـــن له شرفـــا ... كما علـت برسول الله عدنـان

فاعتقد أن هذا ذمّ وحاول أن يفهمه بن الرومي عبثا ما في التجديد في هذا الشعر فلم يقبل، وكان كريما متجملا، ولكن بن الرومي هجاه فأقذع مثل قوله:

مهلا أبا الصقر فكم طائــر ... خرّ صريعا بعد تحليــق

زوجت نعمى لم تكن كفؤها ... فصانـها الله منك بتطليق

ثم خلع أبي صفر كسابقيه وصودرت أمواله

   e. **صاعد بن مخلد**: وكان من كبار الوزراء وكتب للموفق ثم قبض عليه وعلى أبنائه عام 272.

3. **العلويون:** مات الحسن العسكري، الإمام 11 للشيعة عام 260 هـ ودفن بسامراء، ولم يكن له أبن فاختلفت الشيعة من بعده وادعوا له ابنا هو محمد بن العسكري، وأنه دخل سردابا في سامراء وأنه سيخرج لتولى الولاية ونشر العدل! وهم ينتظرونه كل عام عند هذا السرداب!! فسبحان من سلب هؤلاء عقولهم. وقد انقسمت الشيعة بعد فمنهم من قال أن الإمامة سبعة حتى جعفر الصادق وساقوها في ابنه عبد الله الأفطح، وهو لم يعش إلا 70 يوما بعد أبيه، ومنهم من قال إنها في ابنه محمد ومنهم من ساقها في ابنه اسماعيل وهم الإسماعيلية، وهم يتفقون مع الإثنى عشرية على الإئمة الستة الأولى. وقد اضطروا بالقول بالإمام المستور

لعدم قيام أحد من ولد اسماعيل بالدعوة! وتبعوا مذهب **الديصانية**، وهو مذهب سابق للإسلام يقول بالإلهين الظلمة والنور كالمانية، وقيل إن الكثير من قيادات الدولة العباسية كانوا من أتباع الديصانية، مثل عائلة البرامكة إلا محمد بن يحيى، وأبناء سهل وغيرهم، يمكن أن يكون هذا الكلام أشيع من جانب أعداء العباسيين للإساءة إلى الدولة وعمالها أو من جانب الدولة العباسية للإساءة إلى من وقف ضدها من هؤلاء والله أعلم. وكان من تداعيات هذا الأمر ظهور قوتين كان لهما أخطر الأثر في التاريخ الإسلامي، أولهما منظمة: هي **الدولة الفاطمية** التي كان داعيها عبد الله بن ميمون القداح، وكان هو وابوه من الديصانية، وثانيهما غير منظمة وهي دعوة **القرامطة** لعنة الله عليهم وكان أول ظهورهم في الكوفة كما سنبين بعد.

4. **ثورة الزنج:** وهي ثورة تولاها رجل غير معروف النسب زعم أنه محمد بن علي من أبناء زيد بن علي بن الحسين، ودعا الناس الى طاعته واتبعه ناس كثيرون في عام 249 ايام المستعين، وذهب إلى بغداد ليدعو لنفسه سرا ثم عاد إلى البصرة حيث خطرت له فكرة أن يستعين بالزنوج الذين يعملون في السباخ حول مستنقعات البصرة، فبدأ في الدعوة بينهم عام 255 أيام المعتز، وكانوا يعانون الأمرّين من الأتراك وحالتهم الإجتماعية تجعلهم ينضمون لأي خارج على الخلافة. ثم دخل الأبلة فأحرقها عام 256، ودخل البصرة عام 258 وأصابها ببلاء عظيم، ثم أخيرا تصدى له الموفق وحاربه أعواماً عديدة إلى أن انتصر عليه عام 270.

5. **المشرق وأحواله:** ظهرت ثلاثة دول متعاقبة:

a. **آل طاهر:** كان آل طاهر أمراء الشرق منذ عهد المأمون، وكانوا يوالون العباسيين ويتمتعون بحكم شبه ذاتي. وكان أميرهم في عهد المعتمد هو **محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر**. وكانوا يسيطرون على بلاد خراسان وما وراء النهر. واستمروا على ذلك حتى قضى عليهم الصفّاريون.

b. **الدولة الصفّارية:** ورئيسها **يعقوب بن الليث الصفّار** (كان يعمل في تصفير النحاس) ثم جمع الناس من حوله في سجستان هو وأخوه **عمرو**، بمساعدة رجل يدعى صالح بن النضر الكناني وهو مشهور بحربه للخوارج. وحارب علي بن الحسين في شيراز عام 255، في عهد المعتز وانتصر عليه وأراد أن يجعله الخليفة على أعمال خراسان بدلا من آل طاهر. ثم في عهد المعتمد، دخل خراسان واستسلم له آل طاهر عام 259 بعد أن عجزت الخلافة عن مساعدتهم، وسجن محمد بن طاهر وآل بيته. وأرسل للموفق الذي هو القائم بالخلافة حقيقة أن يثبته على ما استولى عليه من ملم آل طاهر إلا أن الموفق رفض. ثم واجه يعقوب الحسن بن زيد صاحب الدولة الزيدية وتغلب عليه في طبرستان، ولجأ الموفق للحيلة فأقره على ما أراد من أعمال إلا أن يعقوب رفض وطلب أن يدخل سامراء بجيشه ليقابل الخليفة، فعلم الموفق أنها الحرب، فجمع جيشه ونقل الخليفة إلى بغداد وقاد الخليفة الحرب بنفسه وتواجه الجيشان وانهزم كثير من عسكر يعقوب لمّا رأؤوا أنهم يحاربون الخليفة نفسه. وأطلق الخليفة محمد بن طاهر من أسره، وولاه أعمال المشرق وأمر بلعن يعقوب على المنابر. وعاد يعقوب إلى فارس فضبطها ثم مات عام 265 وتولى أخاه عمرو مكانه وكان أدهي منه فصانع الخليفة وأظهر ولاءه له. فأقره الخليفة على ما بيده ثم غضب عليه مرة أخرى عام 272 لمّا استشعر طموحاته مثل أخيه، فأمر بلعنه مرة أخرى ثم استرضاه عمرو

بالأموال فرضى عنه وظل ذلك الأمر إلى أن حدثت الحرب بينه وبين السامانيين الذين قضوا على الصفّاريين من بعد.

c. **الدولة السامانية ـ السامانيون:** وهي أسرة فارسية عريقة تنتسب إلى أسد بن سامان، الذى كان يتولى الأعمال لآل طاهر في خراسان وما يليها وكان أولاده أحمد، ونوح والياس ويحيى وكان أحمد عفيفـا غنيّ النفس، وكان ابنه نصر واسماعيل بينهما مشاحنات أدت إلى أن انتصر اسماعيل فأكرم أخاه وتولى الأعمال، وكان اسماعيل هو الذي انتصر على عمرو بن الليث الصفاري. ودامت دولتهم حتى آخر ملوكهم عبد الملك بن نوح عام 389 حين نشب الخلاف بين ابناء البيت الساماني وتغلب عليهم بنو بويه مؤسسو الدولة البويهية. وكان نصر بن أحمد الثاني (301-331) ميّالا لدعوة الإسماعيلية إلا أن ابنه نوح بن نصر الأول (331-343) قضى عليهم.

6. **شمال أفريقيا: الدولة الطولونية**: ومؤسسها هو أحمد بن طولون، وكان ابوه مولى للمأمون، أهداه نوح بن أسد الساماني اليه عام 200، وولد له أحمد عام 220، ثم كان هو الذي تولى قتل المستعين للمعتز. وقد ولاه القائد التركي بايباك مصر عام 254 لما كان له من شجاعة وحسن إدارة، وكان حافظا للقرآن حسن السيرة. وكان يدعى له في مصر بعد الخليفة منذ أيام المهدي. ثم أراد الموفق أخو المعتمد أن يعزله عام 262 وأرسل جيشا يحاربه ولكن الجيش لم يحارب لنقص الأموال، وفي عام 363 أمّره المعتمد على طرسوس ليحميها من البيزنطيين، فدخلت الشام والثغور في مملكته ووصلت إلى الفرات، وأصبح ملك العباسيين لا يتجاوز العراق والجزيرة. وتوفي أحمد بن طولون عام 270 وخلفه ابنه خمارويه واستطاع أن يثبت ملكه واعتراف الدولة العباسية بولايته ووطد علاقته بالعباسيين حتى أنه زوّج ابنته "قطر الندى" بنت خمارويه للخليفة المعتضد. واستمرت مملكة الطواونيون حتى شيبان بن أحمد بن طولون عام 292 حين غزا المكتفي مصر وأنهى عهد الطولونيين، ولم تعمر إلا 38 عاماً.

7. **ولاية العهد**: لمّا كان الموفق هو القائم بالخلافة حقيقة، فقد عيّن ابن الخليفة المعتمد واسمه المفوض ومن بعده ابنه المعتضد أبو العباس، ومات الموفق عام 278، فخلع أبو العباس المفوض لضعفه وقدم نفسه عليه في حياة المعتمد. ومات المعتمد عام 278 إثر أكلة أكلها ولم يكن بشيء في حياته بل مجرد استمتاع بالغناء والرقص والشراب.

أحمد المعتضد بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (279-289):

1. أمه أم ولد إسمها ضرار. وقد حكم تسع سنوات وكان مساعدا لأبيه في حروبه، فكان كفئا قويا، وكان زوجا لقطر الندى بنت خمارويه من الطولونيين في مصر.

2. **وزراء المعتضد**:

a. **عبيد الله بن سليمان بن وهب**: وقد ظلّ وزيرا له حتى مات فاستوزر ابنه **القاسم بن عبيد الله** ومات وهوو وزيرا له. وقد كانت خزانة الدولة مفلسة إذ أن اسماعيل بن بلبل قد استخرج خراج

عامين في عام أيام المعتمد فلم يكن في الدولة أي قدر من المال، فنصح له من حوله أن يطلق سراح بعض ذوي النفوذ، كابني الفرات وأن يأخذ عليهم مكتوبا بأن يؤدوا اليه مبلغا يوميا ومبلغا شهريا! ففعل.

3. **الإضطرابات مع العرب والخوارج**: وقد كانت الخوارج ومعهم جمع من العرب قد ساءت العلاقة بينهم وبين العباسيين إذ أن هؤلاء أسقطوهم من العطايا والأرزاق، وقد كان بنو شيبان هم الأكثر ثورة، وقد حاربهم المعتضد عدة مرات. وكان أن خرج عليه رجل خارجي يدعى هارون الشاري (كلمة الشاري تعني الذي باع نفسه لله، قال تعالي: ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، أي يبيع نفسه)، ولما قويت شوكته أرسل المعتضد جيشا بقيادة **الحسين بن حمدان**، فانتصر عليهم وخلع عليه الخليفة أرزاقا، وكان هذا بداية طلوع نجم **الدولة الحمدانية**، وهو جدهم.

4. **القرامطة**: سبق أن ذكرنا ما كان من القرامطة، وأنهم ظهروا في الكوفة واعتنقوا الديصانية، وظهر أمرهم في البحرين، وقد هاجموا البصرة عام 287 وأرسل المعتضد جيشا فحاربهم وأشاع فيهم القتل، ثم أرسل إلى الكوفة جيشا فأسر قائد لهم إسمه أبو الفوارس وقتله. ثم كان أنهم لما أحسوا بالتضييق عليهم في الكوفة خرج داعيهم زكرويه فدعا لإبنه المعروف بالشيخ على أنه من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق! ودعوا للبيعة بني وبرة من بني كلب فأجابه بعضهم وزعموا أن لهم مائة ألف تابع وداعية وسمي أتباع الشيخ هذا الفاطميون من القرامطة. وقد كانت لهم وقعات في البحرين والعراق، ثم توجهوا إلى الشام فحاربوا خمارويه وهزموا جيشه، وكان دعاة الفاطميين ينشطون في مصر واليمن في هذه الأيام فكانت هذه الدعوة منتشرة في كافة الأنحاء في سرية من ناحية الفاطميين من أتباع ميمون القداح وفي حرب ومجابهة من أتباع القرامطة.

5. **المشرق**: دارت صراعات كثيرة بين الصفّاريون بقيادة عمرو بن الليث وبين السامانيين بقيادة اسماعيل بن أحمد انتصر فيها اسماعيل وانتهت بسجن عمرو ثم قتله في أول عهد المكتفي وانتهت دولتهم عام 290. ثم دارت معارك بين السامانيين والزيديين وانهزم الزيديين وانتهت دولتهم على يد أحمد بن اسماعيل الساماني.

6. **مصر والشام**: وكانت علاقة المصاهرة بين خمارويه والمعتضد بزواج الأخير من قطر الندى ابنة الأول. وقد كان جهازها خياليا بل بنى لها أبوها قصرا في كل مرحلة من مراحل السفر بين مصر وبغداد وجهزه بكل ما يلزم ومن جهازها ألف هون ذهب وسرير مكون من أربع قطع من ذهب وقوائم ذهب معلق في كل قائمة مشبك ذهب به جوهرة لا تقدر بثمن! فسبحان الله العظيم. ثم كان أن قتل خمارويه، ولم يكن ابنه في قوته فقتله الجنود وعينوا هارون أخيه بدلا منه، وطلبوا من المعتضد تعيين والي من قبله على الشام والثغور ففعل، وبذلك قوي نفوذه هناك لضعف الطولونيين وانتهت دولتهم عام 292.

7. **إصلاحات المعتضد**: ولا شك أن المعتضد أعاد للخلافة بعض قوتها رغم أنه كان دموي عنيف، وذلك لشجاعته. ومن أهم ما فعل هو استعماله للتقويم المعتضدي في الشهور العربية، وهو عبارة عن نظام يوفق بين السنة القمرية والشمسية لما يحتاج اليه في جمع الخراج وذلك بإسقاط سنة خراجية كل 32 سنة ليتفق التقويمين. وقد هجر المعتضد سامراء إلى بغداد فخربت بعد جمال وروعة وفي ذلك يقول بن المعتز (وهو بن الخليفة المعتز وكان شاعرا مجيدا):

قد أقفرت سامـــــرا	وما للشيء دوام
فالنقض يحمل منها	كأنّها آجــــــم
ماتت كما مـات فيل	تسل من العظام

8. وفاة المعتضد: توفي المعتضد عام 289 وخلفه ابنه المكتفي.

على المكتفي بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (289-295):

1. وأمه تركية إسمها جيجك. وقد تدهورت الأحوال في عهده نظرا للغدر الذي وقع من الوزراء بل وتعدى إلى بعض القضاة الذين مكنوا مثل هذا الغدر ونقض العهود.

2. **القرامطة**: وقد ساعد هذا الجو المليئ بالغدر على سعة انتشار دعوة القرامطة، وسار داعيهم يحي بن ذكرويه المعروف بالشيخ عام 289 إلى العراق والشام وخرّب القرى والمدن في طريقه واجتمع على قتاله هارون بن خمارويه وقتل يحيى هذا وتولى بعده أخاه الحسين بن ذكرويه وسمى بذى الشامة وانتصر على المصريين ودعى له على المنابر في حمص وبلاد الشام 289-291 وشاع القتل في المسلمين في تلك النواحي. ثم أرسل المكتفي طليعة جيشه بقيادة أبا الأغر في عشرة آلاف فارس ولكن القرمطي غلب عليهم وقتل منهم عددا كبيرا ودخل الباقي حلب ولم يتمكن القرمطي من دخولها عليهم. وسار المكتفي إلى الرقة بجانب حلب وأرسل الجيش بقيادة محمد بن سليمان وانتصر على ذي الشامة وحاول ذاك الهرب ولكن قبض عليه وأعدم مع الأسرى من جيشه. ولكن رأس الفتنة ذكرويه كان لا يزال حيّا، فبعث من يدعو له مرة أخرى وجنّد الجنود وهاجم الكوفة عام 293 وقتل خلق كثير ثم سار إلى القادسية ثم أغاروا على حجاج العراق وخراسان عام 294 فقتلوهم وأخذوا أموالهم فسار إليهم المكتفي في جيش عظيم وقاتلهم وأسر ذكرويه ومات بعد خمسة أيام من الواقعة. وهكذا أوشكت هذه الدعوة الخبيثة على الزوال بعد قتل رأسها وأولاده، ولكن بقي الجنابي بالبحرين، وهو الذي تولى الدعوة لهم أول ظهورهم، ولم يكن له شأن في عهد المكتفي، ولكن ظهرت خبائثه في عهد المقتدر كما سنرى.

3. **المشرق:** استقرت بلاد المشرق في يد اسماعيل بن أحمد الساماني وكان حازما عاقلا، ورضى عنه المكتفي حتى توفي عام 295 فتولى إبنه أحمد بن إسماعيل وثبته الخليفة على ما بيده وهو الذي قضى على الدولة الزيدية.

4. **المغرب:** وقد انتهى أمر دولة الطولونيين كما ذكرنا في عهد المكتفي عام 292 وآخر أمرائها شيبان بن أحمد بن طولون، وكذلك انتهى عهد دولة الأغالبة في المغرب على يد داعية الفاطميين أبي عبد الله الشيعي.

a. **دولة الأدارسة 172-364:** هي التي أسّسها إدريس بن عبد الله بن الحسن الذي فرّ في عهد الهادي عقب موقعة "فخ" وأسّس دولة الأدارسة الشيعية (التي ساندها البربر وهم من السنة) والتي إستمرت مناوئة للعباسيين حتى أنهتها الدولة الفاطمية.

b. **دولة الأغالبة: 184-296:** هارون الرشيد، أراد أن ينغص على الأدارسة فولى على المغرب **إبراهيم بن الأغلب** على أن يكون تابعا للعباسيين ويرسل لهم الخراج وكانت عاصمتها القيروان (تونس)، وامتدت في عهد حفيده زيادة الله إلى صقلية التي فتحت على يد الإمام أسد بن الفرات، واستمرت دولة الأغالبة كذلك حتى قضى عليها الفاطميون عام 296 حين فتحوا القيروان.

c. **الدولة الطولونية:** وكانت في آخر عهدها بالقوة بعد إغتيال خمارويه وتصارع أفرادها وسيطرة الجند عليها فغزاها المكتفي عام 292 وأنهى حكمهم.

5. **الروم:** بدأت العلاقات حسنة ثم تدهورت وغزا المسلمون الروم مرتين بقيادة رستم بن برد واستردوا أسرى من أيديهم

6. **وفاة المكتفي:** توفي المكتفي عام 295 وتولى أخوه المقتدر بن المعتضد. ولم يكن المكتفي قد عيّن أحدا لولاية العهد، فساير مرة وزرائه ومنهم داود بن الجراح وعلي بن الحسن بن الفرات، فاستشار عليّا فيمن يولي، فقال: عبد الله بن المعتز وهو رجل ذو خلق وعقل وادب، ولكن بن الفرات أشار عليه بعد إلحاح أن يعيّن جعفر المقتدر بن المعتضد رغم صغر سنه (13 عاما).

جعفر المقتدر بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (295-320):

1. أمه أم ولد إسمها شغب. وقد حكم 24 عاما حتى قتل، وكان معاصرا لعبد الرحمن الناصر في الأندلس وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين في تلك الدولة، كما يعاصره عبيد الله المهدي في مصر أول خلفاء الفاطميين الديصانيين، كما كان معاصره في الشرق أحمد بن إسماعيل الساماني.

2. قامت حركة تزعمها عليّ بن الجراح وعدد من القادة فخلعت المقتدر وعينت بن المعتز وقد رضي بذلك على أن لا يكون هناك سفك دماء. ثم حدث أن وقفت أنصار المقتدر معه للدفاع عن الخلافة وهزموا أنصار بن المعتز وصار هرج وفوضى في بغداد وقبض على بن المعتز وقتله. ونظرا لصغر سنه واستهتاره لم يكن للخلافة أية هيبة وسيطرت أمه ومربيته على الأمور.

3. **وزراء المقتدر**:

1. **عليّ بن الفرات**: وقد نظم الشرطة والأمن وقبض على من وقف مع بن المعتز واستمر على ذلك ثلاث سنوات ثم طلب منه الخليفة مالا فلم يعطه له فأوقع به وقبض عليه وصادر ماله ودياره.

2. **محمد بن عبيد الله بن خاقان**: وقد حاول إرضاء الخليفة بإعطائه المال من بيت مال العامة حتى خربت الأمور واستدانت الدولة وهو ما أدى إلى أن يقوم الخليفة بتغييره بعد أكثر من عام واحد.

3. **علي بن عيسى**: وكان رجلا عفيفاعاقلا يريد الإصلاح، ولكنه راي الديون الطائلة التي تثقل كاهل الديوان وأن بن الخاقان قد وقّع عليها كلها كديون لأصحابها ومنهم من هم من خواص الخليفة فأراد أن يصارح الخليفة وأن يسقط من هذه الديون ما وقّع عليه أصحاب الخاقان ولم يوقعها بنفسه، فقالوا له: اسأل الخاقان نفسه عن التوقيعات التي بيده فابقيها وما بيد حاشيته فأسقطها، ففعل فقال بن خاقان إنها كلها من توقيعه، حرصا على علاقاته مع الحاشية، فحفظوا له الجميل واضطر علي بن عيسى أن يعمل على السداد، ثم كتب إلى أم الخليفة يستأذنها في ترك الوزارة، ولكن لم يزالوا به حتى قبض عليه وأودع السجن فلا حول ولا قوة إلا بالله.

4. **علي بن الفرات**: وخرج بن الفرات من السجن وأعطى الخليفة والحاشية ما أرادوا ثم إن حكومة النساء لم تتركه بل أشاعوا أنه ولى ابنه الأعمال والدواوين وغير ذلك فقبض عليه مرة أخرى بعد عام واحد.

5. **حامد بن العباس**: وكان جاهلا ليس ببشيء فأحضر علي بن عيسى من السجن وجعله نائبا له فصارت الأمور بيديه، ثم إنه أحضر بن الفرات من السجن ليسأله عن اشياء فجرت محادثة أساء فيها بن الفرات اليه وأظهر معايبه. وقد قامت ثورة للعامة نتيجة أن حامد وقواده كانوا يخزنون الغلة فحارب الخليفة العامة وأوقف الفتنة ثم أمر ببيع الغلة التي خزنها حامد وقواده. ثم إن علي بن عبسى كان قد شدد على الناس فضجروا منه وأوقعوا به فقبض عليه الخليفة وفرّ حامد ثم قتلته الحاشية بعد، وأطلق سراح بن الفرات وتولى الوزارة للمرة الثالثة.

6. **علي بن الفرات**: وتولى الوزارة مرة ثالثة إلا أن حرب القرامطة أوقعت العامة في مصائب كثيرة تحمل بن الفرات تبعاتها فقبض عليه مرة اخرى ثم قتل هو وابنه المحسن شر قتلة.

7. **عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن خاقان**: ولم يكن حظه خير من غيره، فقد أوقعت به العامة وصودرت أمواله وابنه عبد الوهاب

8. **أبو العباس الخصيبي**: وكان سكّيرا لا يبالي بشي وأهمل الدواوين فعزله المقتدر وأعاد علي بن عيسى.

9. **علي بن عيسى:** وقد أجرى الكثير من الإصلاحات إلا أن الأوضاع لم تتغير من سيطرة الحاشية والنساء فاغروا به الخليفة فقبض عليه عام 316 وسجن.

10. **أبو علي بن مقلة:** وكان كاتبا بارعا كما كان مرتشيا قديرا! وكانت بينه وبين مؤنس المظفر القائد مودة فكان يعاونه إلى أن غضب المقتدر على مؤنس فعزل أبو علي.

11. **سليمان بن الحسن:** ولم تدم وزارته طويلا إذ أن الخليفة جعل معه علي بن عيسى ليشرف على الدواوين، ثم ضاقت به الحال وقبض عليه بعد أربعة عشر شهرا.

12. **أبو القاسم الكلوذاني:** ولم يعزل عن ضعف ولكن لغباء المقتدر وقلة عقله إذ دخلت عليه حيلة أن هناك كتاب قديم تصف الحسين بن القاسم وأنه سيستوزر للإمام 18 من بني العباس فعزل أبو القاسم وولى الحسين!

13. **الحسين بن القاسم:** ولم يكن على علم بأعمال الوزارة فازدادت الأحوال اضطرابا فعزله المقتدر بعد سبعة شهور.

14. **الفضل بن حجر:** وهو آخرهم، وبقي فيالوزارة حتى مات المقتدر.

4. **القرامطة**: ذكرنا أن أمر القرامطة آل إلى هزيمتهم في الشام والعراق ومقتل أبي الشامة بن ذكرويه ثم مقتل ذكرويه أيام المكتفي عام 293. ولكن الجنابي زعيمهم والقائم بأمرهم عاث في البحرين الفساد ثم قتل عام 301، وتولى ابنه سليمان الجنابي. فقوي واشتدت غزواته للبصرة وقتله الحجاج، وأخذ القوافل المتوجهة إلى بغداد عام 311، فقاتلهم والى الكوفة جعفر بن ورقاء الشيباني، إلا أنه هزم واستولى القرمطي على الكوفة ودخلها ثم خرج منها وعاد لدخولها عام 315، وهزموا جيش الخليفة بقيادة يوسف بن أبي الساج، وعاثوا الفساد بعدها في الجزيرة والعراق، حتى توجهوا إلى مكة عام 317 هـ فلم يرع حرمتها واستباحها وقتل الحجيج وألقاهم في زمزم وخلع كسوة الكعبة ووزعها بين اصحابهن وأخذ الحجر الأسود معه إلى البحرين وكانت المقتلة عظيمة حتى أن المهدي عبيد الله العلوي رأس الفاطميين أرسل اليه يعاتبه ويلعنه ويقول أنه وصم دولتهم الشيعية بالكفر والعار إلى الأبد وهو صحيح، فلما وصله هذا الكتاب أعاد إلى مكة بعض الأموال إلى أصحابها ولكنه لم يعد الحجر الأسود. وبقي أمر القرامطة ظاهرا إلى حين.

5. **إنقسام الدولة أيام المقتدر**: وقد كانت الدول المستقلة ظاهرة في أنحاء الدولة العباسية لضعفها:

   1. **الدولة السامانية**: في المشرق وقد تحدثنا عنها من قبل ونشاتها في عهد المعتمد.

   2. **الدولة الحمدانية**: 319 -399: في الموصل وهم من تغلب، وكان بدأ ظهوررؤوسها أيام **المعتضد** كما ذكرنا من قبل وجدهم **الحسين بن حمدان**، ومنهم من اشتهر بالشجاعة **كسيف الدولة الحمداني** وهو صاحب **المتنبي** وفيه قال قصيدته المشهورة، وقد توطدت في عهد المتقي. وكان مركزها الموصل وهواها مع العرب إذ انهم من عرب تغلب، وقد انتصروا للخليفة ضد الأتراك فعزز الأخوين سيف الدولة وناصر الدولة، ولكن الأتراك طردوهم من بغداد فعادوا إلى الموصل. واستطاع سيف الدولة أن يتغلب على الإخشيديين في حلب وأن ينقل ملكه هناك وكان مجلسه مجلس علم يحضره المتنبي والأصفهاني وابن نباتة والفارابي وغيرهم، وكان ابن عمه الشاعر المشهور أبو فراس الحمداني[16]، القائل:

[16] وكان أميرا عالما أديبا جهبذا فارسا وقد أسره الروم وافتداه سيف الدولة، وكان عاشقا لأخت سيف الدولة

أقول وقد ناحت بقربي حمامـــــــة	أيا جارتا هل تشعرين بحالـــي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النــوى	ولا خطرت منك الهموم ببـــال
أيا جارتا ما أنصـــف الدهر بيننـــا	تعالي أشاطـرك الهموم تعالــي
أيضحك مأسور وتبكي طليقــــــة	ويسكت محزون ويهتف سالـى

كذلك

أراك عصي الدمع شيمتك الـصبر	أما للهوى نهي عليك ولا أمـر
نعم أنا مشتاق وعندي لوعـــــة	ولكن مثلي لا يذاع له ســـــر
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى	وأذللت دمعا من خلائقه الكبـر
تكاد تضئ النار بين جوانحـــــي	إذا هي أذكتها الصبابة والفكـر
معللتـي بالوصل والموت دونــــه	إذا مت ظمآنا فلا نزل القــــطر
تسائلني من أنت وهي عليمــــــة	وهل لشجى مثلي على حاله نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى	قتيلك، قالت: أيهم فهم كثـــــــر!
فقلت لهـــا لو شئت لم تتعنتــــي	ولم تسألي عني وعندك بي خبـر
فقالت: لقد أزرى بك الدهر بعدنـا	فقلت: معاذ الله بل أنت لا الدهـر
وما كان للإحـــــزان لولاك مسلكٌ	إلى القلب ولكن الهوى للبلى جسر
وقلبت أمري لا أرالي راحـــــــة	إذا البين أنساني ألحّ بي الهجــر
فلا تنكريني يا ابنة العم إنــــــه	ليعرف من أنكته البدو والحضـر
ولا تنكريني إنني غير منكـــــــر	إذا زلزلت الأقدام واستنزل النصر
وإني لجـــــــرّار لكل كتيبـــــة	معــــــوّدة ألا يخل بها النصر

ثم إنه غزا الروم في أعوام 343، 345، 349 وانتصر عليهم نصرا ساحقا فكتب المتنبي قصيدته الشهيرة[17] في مدح سيف الدولة. وقد استطاع أن يرد كيد البيزنطيين كذلك استطاع أن يخرجهم من

[17] عَلَى قَدْرِ أَهلِ العَزمِ تَأْتِي العَزائِمُ ... وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وتَعظُمُ في عَينِ الصّغِيرِ صِغارُها ... وتَصغُر في عَينِ العَظِيمِ العَظائِمُ

حلب. وهاجم البيزنطيون الشام عام 351 وخرج منها سيف الدولة، ، ثم هاجم نقفور ملك الروم عام 353 وعام 354 و 358 ولم يمنعه أحد حيث أن سيف الدولة مات عام 356 ، وقتل البيزنطيون الآلاف وسبوا الأطفال والبنات والنساء وتولى سعد الدولة 356 ولكن لم يكن في قوة أبيه فضعفت الدولة ، وانتهت على أيدي الفاطميين بعد اعتراف عامل حلب بسيطرة الفاطميين عليها عام 388.

3. **القرامطة:** في البحرين وما كان من بشاعاتهم كما أسلفنا.

يُكلّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمّهُ ... وقد عَجَزَتْ عنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ
ويَطلب عِندَ الناسِ ما عِندَ نَفسهِ ... وذلِكَ ما لا تَدَّعِيهِ الضَراغِمُ
يُفدّي أَتمُّ الطَّيرِ عُمرًا سِلاحَه ... نُسورُ الفَلا أَحداثُها والقَشاعِمُ
وَما ضَرَّها خَلْقٌ بِغَيرِ مَخالِب ... وقد خُلِقَتْ أَسيافُهُ والقَوائِمُ
هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها ... وتَعلَمُ أَي الساقِيَينِ الغَمائِمُ
سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولهِ ... فَلما دَنا منها سقتها الجَماجِمُ
بَناها فأَعلَى والقَنا يَقرَعُ القَنا ... ومَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ
وَكانَ بِها مِثلُ الجُنونِ فأَصبَحَت ... ومِن جُثَثِ القتَلَى عَلَيها تَمائِمُ
طَرِيدةُ دَهرٍ ساقَها فرددْتها ... على الدِينِ بالخَطّيِّ والدَهرُ راغِمُ
تُفيتُ الليالِي كُلَّ شيءٍ أَخذتَهُ ... وهُنَّ لِما يَأخُذنَ مِنكَ غَوارِمُ
إذا كانَ ما تَنوِيهِ فِعلاً مُضارِعًا ... مَضَى قَبلَ أن تُلقَى عَلَيهِ الجَوازمُ
وَكيفَ تُرَجِّي الرُومُ والروسُ هَدمَها ... وَذا الطَعنُ آسَاسٌ لها ودَعائِمُ
وقد حاكَمُوها والمَنايا حَواكِمٌ ... فما ماتَ مَظلُومٌ ولا عاشَ ظالِمُ
أَتَوكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كأنّما ... سَرَوْا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوائِمُ
إذا بَرَقُوا لم تُعرَفِ البِيضُ مِنهُمُ ... ثِيابُهُمُ من مِثلِها والعَمائِمُ
خَمِيسٌ بِشَرقِ الأرضِ والغَربِ زَحفُهُ ... وفي أذُنِ الجَوزاءِ منهُ زمازِمُ
تَجَمّع فيهِ كُل لِسنٍ وأَمُّةٍ ... فما يُفهِمُ الحُدَّاثُ إِلا التَراجِمُ
فلِلّهِ وَقتٌ ذوَّبَ الغِشَّ نارُهُ ... فلم يَبقَ إِلا صارمٌ أَو ضُبارِمُ
تَقَطع ما لا يَقطَعُ الدِرعَ والقَنا ... وفَرَّ منَ الفُرسانِ مَن لا يُصادِمُ
وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ ... كأَنكَ في جَفنِ الرَّدَى وَهْوَ نائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلْمَى هَزِيمةً ... ووَجهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسِمُ
تجاوَزتَ مِقدارَ الشَجاعةِ والنُهَى ... إلى قولِ قَومٍ أَنتَ بالغَيب عالِمُ
ضَمَمتَ جَناحَيهم على القَلبِ ضَمّةً ... تَمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقَوادِمُ
بِضَربٍ أَتَى الهاماتِ والنَصرُ غائبٌ ... وَصارَ إلى اللبَّاتِ والنَصرُ قادِمُ
حَقَرتَ الرُدَينيَّاتِ حَتَّى طَرَحتَها ... وحَتى كأَنَّ السيفَ لِلرُمح شاتِمُ
ومَن طَلَبَ الفَتحَ الجَلِيلَ فإنّما ... مَفاتيحُهُ البِيض الخِفافُ الصَوارِمُ
نَثَرتَهُم فَوقَ الأُحَيدِبِ كُلِّهِ ... كَما نُثِرت فَوقَ العَرُوسِ الدَراهِمُ
تَدُوسُ بِكَ الخيلُ الوُكورَ على الذُّرَى ... وقد كَثُرَت حَولَ الوُكورِ المَطاعِمُ
تَظُنَّ فِراخُ الفُتخ أَنكَ زرتَها ... بِأَمَّاتِها وَهْيَ العِتاقُ الصَّلادِمُ
إذا زَلِقَت مَشَيتَها بِبُطُونِها ... كَما تَتَمشَّى في الصَعيد الأَراقِمُ
أَفِي كُلِّ يومٍ ذا الدُّمستُق مُقدِمٌ ... قَفاهُ على الإِقدامِ لِلوَجهِ لائِمُ
أَيُنكِر رِيحَ اللّيث حتّى يَذُوقَه ... وقد عَرفَتْ رِيحَ اللّيُوث البهائِمُ
وقد فَجَعَتهُ بِابنِهِ وابنِ صهرِهِ ... وبالصِهرِ حَملاتُ الأَمِيرِ الغَواشِمُ
مَضَى يَشكُرُ الأَصحابَ في فَوتِهِ الظُبى ... لِمَا شغلتها هامُهُم والمَعاصِمُ
ويفهَمُ صَوتَ المَشرفيَّةِ فيهِمِ ... على أَنَّ أَصواتَ السُيُوفِ أَعاجِمُ
يُسَرُّ بما أَعطاكَ لا عَن جَهالةٍ ... ولكِنَّ مَغنوماً نجا مِنكَ غانِمُ
وَلستَ مليكًا هازِمًا لِنَظِيره ... ولكِنكَ التَّوحِيدُ لِلشِرْكِ هازِمُ
تشَرَّفُ عَدنانٌ بِهِ لا رَبيعةٌ ... وتَفتخِرُ الدُّنيا بِهِ لا العَواصِمُ
لَكَ الحَمدُ فى الدُرِّ الَّذي لِيَ لَفظُهُ ... فإِنَّكَ مُعطيه وإِنِّيَ ناظِمُ
وإِنّى لَتَعدو بي عَطاياكَ في الوَغى ... فَلا أَنا مَذمُومٌ ولا أَنتَ نادِمُ
على كُلِّ طَيَّارٍ إليها بِرِجلِهِ ... إِذا وَقَعَتْ في مِسمَعَيهِ الغَماغِمُ
أَلا أَيُّها السَّيفُ الَّذي لَيسَ مُغمَداً ... وَلا فيهِ مُرتابٌ ولا مِنهُ عاصِمُ
هَنِيئا لِضَربِ الهامِ والمَجدِ والعُلَى ... وَراجِيكَ والإِسلامِ أَنكَ سالِمُ
ولِم لا يَقِي الرَّحمنُ حَدّيكِ ما وَقَى ... وتَفلِيقُهُ هامَ العِدَى بِكَ دائِمُ

---

4. **الدولة الفاطمية**: في مصر وشمال إفريقيا وقد بدأت كما أسلفنا بدعوة عبد الله بن ميمون القداح، ثم المهدي عبيد الله المهديّ وداعيته عبد الله الشيعيّ الذي كوّن جيشا كبيرا ثم دعا عبيد الله أن يحضر إلى المغرب التي استولى عليها من دولة الأغالبة، ثم إن أمير سلجماسة قبض على عبيد الله وسجنه وهو في طريقه للقيروان ولكن عبد الله الشيعي أخذ جيشا كبيرا من أتباعه البربر وحرره واستولى على سلجماسة واعلنت الدولة الفاطمية في القيروان، ثم جاء من نسل عبيد الله المعز لدين الله الفاطمي الذي أرسل قائده جوهر الصقلي ففتح مصر 359، ثم نقل الخلافة إلى القاهرة التي بناها المعز. واستمرت دولة الفاطميين الشيعية الإسماعيلية الديصانية حتى قضى عليها القائد السني العظيم صلاح الدين الأيوبي عام 567 وظهرت الدولة الأيوبية.

6. **قتل المقتدر:** وقد وقعت جفوة بين المقتدر وبين قائد جيشه مؤنس المظفر فاستولى على الموصل أيام ناصر الدولة الحمداني وسار إلى بغداد وأشار عليه البعض بالخروج للقتال ولكن عددا من البربر والمغاربة أوقعوا به فقتلوه وتركوه ملقى عار حتى ستره أحد الناس ودفنه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

محمد القاهر بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (320-322):

1. أمه أم ولد اسمها قتول وهو أخو المكتفي وبايعه مؤنس على مضض لعلمه بخبثه وشره. وقد بدأ ولايته بالظلم فأحضر أم المكتفي ليأخذ مالها وكانت قد جزعت كثيرا لقتل ابنها وامتنعت عن الأكل فعلقها وضربها وأقرت على متاعها دونمالها وقالت لو وكان عندي مال لما تركت ابني يقتل. ثم هرب بقية أهل المقتدر خوفا من القتل.

2. كانت ولاية القاهر عامين قضاها في قتل من والاه ومن وقف ضده فقرب محمد بن ياقوت وهو ما لم يرض مؤنس فبدأ القواد يتآمرون للقضاء عليه ولكنه خدعهم وقبض عليهم وقتلهم جميعا. وعلم الناس انه دموي فندم من ساعده من قبل. وبقي ضده وزيره أبا علي بن بقلة الذي كان يدبر لقتله حتى تمكن من الهجوم على بيته فقبض عليه وسملت عيونه وانتهى أمره وكان محبا للغناء والمغنيات، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أحمد الراضي بن جعفر المقتدر بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (322-329):

1. أمه أم ولد اسمها ظلوم. وهو أخو المعتضد وعم القاهر والمكتفي. وكانت أيامه حوالي سبعة سنوات، كلها صراع بين الأمراء الذين يريدون الإستيلاء على السلطة.

2. الوزراء: كان الصراع أولا بين الوزير **أبا علي بن مقلة** ومحمد بن ياقوت الحاجب، وكانت الغلبة لإبن مقلة إلى حين ثم وشى به ياقوت فسجن هو وأخوه المظفر، ثم أراد الخليفة أن يولي علي بن عيسى فرفض ونصح بأخيه **عبد الرحمن بن عيسى**، ولكنه لم يتمكن من شيء فسجن، ثم استوزر **أبا جعفر الكرخي**، ومن بعده **سليمان بن الحسن**، ولم يفعلا شيئا.

3. كانت البصرة تحت ولاية محمد بن رائق والأهواز تحت البريدي بعد أن تغلب بنى بويه[18] على فارس. فلم يكن هناك موارد للدولة، فعيّن الراضى بن رائق أميرا للأمراء عسى أن يمكنه تحسين الأحوال، واستوزر بن رائق **جعفر بن الفرات**. ثم أراد بن رائق أن يتقرب من البريدي فأرسل اليه يستوزره وضم اليه البصرة، ولكن ذلك زاد من قوة البريدي وأخذ البصرة عنوة، فحاربه بن رائق وغرقت سفن البريدي وهرب إلى الأهواز ثم استعان بعماد الدولة بن بويه الذي استولى على الأهواز وتراجع البريدي إلى البصرة. ثم وقع خلاف بين ناصر الدولة الحمداني وبين الراضي فسار الأخير لحربه ثم اتفقا على الصلح وأن يرسل ناصر الدولة 500000 درهم إلى الخليفة، وعاد الخليفة ومعه قائده بن بجكم للقاء بن رائق في بغداد بعد أن سمعا أنه استولى عليها ثم صالحاه على أن يحكم بعض ديار العراق.

4. **الحنابلة**: كان للحنابلة وطأة شديدة في بغداد فقد شكلوا هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنعوا الرجال أن يسيروا في الطرقات إلا مع نساء ممن هم حرم لهم، وهدموا القباب والأضرحة واعتدوا على المغنيات وكروا بلات المعازف واشتدت وطأتهم وكان رئيسهم الإمام البربهاري. وقد حذرهم الخليفة من تهييج العامة.

5. **القرامطة**: وكان لا يزال القرامطة في عهده على قوتهم وقائدهم أبو طاهر كان لا يزال متمسكا بالحجر الأسود في البحرين. ثم قتلوا الحجيج كعادتهم عام 323.

6. **الدولة الإخشيدية**: وقد ظهرت الدولة الإخشيدية في مصر عقب انهيار الطولونيون بها وعودتها إلى الخلافة العباسية أيام المعتضد ثم ضعف قبضتهم عليها ايام المقتدر، فكان أن **محمد بن طغج الإخشيد** استولى على الحكم وكانت بين بن رائق وبين الإخشيد معارك انتهت بأن ترك الإخشيديون الشام لإبن رائق حتى قتل عام 330 على يد ناصر الدولة الحمداني وضمّ الإخشيد الشام. وكان منشأ الدولة الإخشيدية عام **327** واستمرت في بنيه حتى أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد، إلا أن الحاكم الفعلي بعد الإخشيد كان كافور الوصي على ابني الإخشيد الحدثين، وقد كان قائدا شجاعا ومدحه المتنبي إلا أن كافورا لم يعطيه ما أراد فذمه ذمّا قبيحا فقال:

لا تشترى العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيـــد

من علّم الأسود المخصي تكرمة ... آباؤه الصيد أم أجداده السود

ووصل حكم الإخشيديين إلى الجزيرة وبلاد النوبة والشام وحدود آسيا الصغرى، ويجاور دولة الحمدانيين وكانت بينهم حروب أدت إلى انشغال سيف الدولة بالحرب الداخلية عن صدّ هجوم البيزنطيين، ثم استقرت الحال بين الحمدانيين والإخشيديين فتفرغ سيف الدولة لصدهم. وانتهت الدولة على أيام أبو الفوارس الذي كان عمره 11 عاما بإستيلاء الفاطميين عليها عام 357.

7. **وفاة الراضى:** مات الراضي عام 329، ولم يولِ أحدا وكان أديبا له ديوان شعر.

[18] ومؤسسها علي بن بويه وكان زعيما من الديلم واستولى على الأهواز ثم فارس وأقام دولة البويهيين الشيعة عام 322 ثم استولى على بغداد 334، واستمرت الدولة البويهية حتى عام 447 حين قضى عليها السلاجقة بدخولهم بغداد.

إبراهيم المتقى بن جعفر (المقتدر) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن هارون (الرشيد) (329-333):

1. أمه أم ولد إسمها خلوب. وكانت ولايته أربعة سنوات استولى فيها قائد ديلمي على إمرة الأمراء التي استحدثها الراضي اسمه كورتكين ولكنه لم يلبث إلا أن ظهر ضعفه فأرسل المتقي إلى بن رائق بالشام فحضر لبغداد وهزم كورتكين. ثم إن البريدي عرف ضعف الخليفة وبن رائق لما وقع من حرب بين الديلم والأتراك، فقرر السير إلى بغداد فاستنجد الخليفة بناصر الدولة وأخيه سيف الدولة الحمدانيين من الموصل فحضرا لنصرته، وولى ناصر الدولة إمرة الأمراء. وانتصر سيف الدولة على البريدي بعد معارك وتبعه إلى واسط إلا أن ناصر الدولة لم يسعفه بمال، فجاء بنو بويه وأخرجوا سيف الدولة من واسط فرجع إلى بغداد ثم عاد مع ناصر الدولة ومعهما الخليفة إلى الموصل وترك إمرة الأمراء. ثم ظهر قائد تركي اسمه توزون، واستولى على بغداد وحارب الحمدانيين وهزمهم وأخرجهم من الموصل فتوجهوا إلى نصيبين ومعهم الخليفة، فأرسل توزون إلى الخليفة يطلب منه الرجوع وأمنه وقال له أقبل الأرض بين يديك، فوافق الخليفة، فلما عاد إلى بغداد، ركع أمامه توزون وقبّل الأرض بين يديه وقال: هاأنذا وفيت بوعدي ثم أمر به فقتل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

العصر العباسي الثالث: عصر البويهيين (334-447)

عبد الله المستكفي بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (333-334):

1. وهو عصر إستيلاء بني بويه على الحكم وسيطرتهم على الخلافة سيطرة تامة، وهو الممهد للعصر العباسي الثالث المعروف بعصر البويهيين. لم تستمر خلافة المستكفي إلا عاما واحدا.

2. **الدولة البويهية:**

a. **الديلم**: هي بلاد تقع على جنوب غرب بحر الخزر، وكان سكّانها من عرق أرفع من الفرس. وقد فتحها المسلمون فيما فتحوا من بلاد فارس وظلّ أهلها على وثنيتهم، ثم كان بينهم وبين بني طاهر مضايقات فلم يرضوا على عمالهم، فأرادوا أن يدينوا لأحد ممن له دين، فجاء اليهم الحسن بن زيد أيام المستعين وسيطر على طبرستان كما تقدم[19]، ثم بعد أن توفي الحسن عام 271 وتولى أخيه ولم يكن قويا وخرجت طبرستان من أيديهم بعد انتصار أحمد الساماني علي الزيدية، فدخل اليهم **الحسن بن علي الأطروش**، فدعاهم إلى الإسلام وأراد أن يهاجم طبرستان إلا أنهم كانوا يحبون واليها الساماني عبد الله بن محمد بن نوح، فلم يوافقوه ثم تبدل الوالي بعد وفاة بن نوح، فأساء السيرة فخرجوا مع الأطروش واستولوا على طبرستان، وتوفي الأطروش عام 304 وولي من بعده ابناه ثم ماتوا بعد معارك مع السامانية وظهر قائد ديلمي هو أسفار وعظمت جيوشه وأراد أن يحارب الخليفة في بغداد فأرسل الخليفة المقتدر أيامها جيشا بقيادة والي خراسان واسمه السعيد فصالح السعيد أسفار على ما بيديه. ثم خرج على أسفار أحد قواده وهو **مردويج** وكان كريما شجاعا فتبعته الديلم وعظمت جيوشه جدا، وأثبته المقتدر على أصبهان والأهواز ووصل حتى حلوان على حدود العراق. ثم قدم على مردويخ قادة من الديلم منهم علي وأحمد والحسن أولاد بويه، فخلع عليهم وأرسلهم ليكونوا عماله على الكرج وغيرها إلا أنه أرسل إلى اخيه وشكمير أن لا ينفذهم غلى أعمالهم لخشيته منهم، ولكن خطابه وصل إلى **عليّ بن بويه** عن طريق أحد خاصته فأسرع إلى محل ولايته وأحسن إلى الناس وأصلح الأمور فقويت شوكته وحاول مردويخ أن ينال منه شرا بالحيلة وبالحرب فلم يقدر واتسع ملكه واستولى على شيراز واصطخر وجرجان، وراسل الخليفة الراضى ووزيره بن بقلة فصالحوه على ألف ألف درهم سنويا وأقروه على ملكه. وأراد مردويج أن يحارب بن بويه ولكنهما اصطلحا على أن يدعو بن بويه لمردويج في الخطب. ثم إن الأتراك اغتالوا مردويج عام 322 لأنه فضل الديلم عليهم، فانقسمت جيوشه فذهبت فرقة إلى بن بويه وفرقة إلى وشكمير أخيه وفرقة إلى الترك المتمردين بقيادة بجكم التركي. وأصبحت القوى في المشرق ثلاث: بني بويه في فارس، ووشكمير في الري، والسامانية في خراسان وما وراء النهر. وقد نجا الحسن بن بويه من سجن مردويخ بعد قتله ولحق بأخيه عليّ. ثم استطاع عليّ أن يهزم بجكم ويستولي على الأهواز ثم استولى على واسط وسار أخيه أحمد بن بويه إلى بغداد وبها

[19] راجع ص 44

الخليفة المكتفي فقابله وتعاهدا وتبايعا على الخلافة والسلطنة، ولقب المكتفي **عليّ بن بويه عماد الدولة** وهو على فارس **والحسن ركن الدولة** وهو على الري **وأحمد معز الدولة** على العراق. وخرجت سلطة الخلافة حقيقة من يد الخليفة في هذا الوقت لحساب بني بويه، وهو بداية العصر العباسي الثالث، وقد فكّر بني بويه في إزالة العباسيين بالمرة من الخلافة وإعطائها لعلوي ولكن خواصهم نصحوهم بأن يتركوا هؤلاء لأن الناس لا يبالون إن قتلوهم لأنهم يرونهم على الباطل، أما إذا نصبت علويا إذا أمر الناس قتلوا بني بويه أنفسهم لأنهم يرونهم على الحق.

3. **خلع المستكفي**: خلع أحمد معز الدولة المستكفي لأنه اتهمه بأنه يريد خلعه بعد أربعين يوما فقط من تنصيبه سلطاناً

الفضل المطيع بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (334-363):

1. وقد بقي خليفة 29 عاما ولكن السلطة الحقيقية والسلطان الفعلي كان لمعز الدولة أحمد بن بويه.

2. **سلاطين بني بويه:**

   a. **معز الدولة أحمد بن بويه**: وكان عهده خراب على العراق، إذ أنه:

      i. بدأ **سياسة الإقطاع** فأقطع جنوده الأراضي فقل عزم الفلاحين على العمل واستبد الجنود بالمال.

      ii. **العنصرية**: حيث أنه فضل الترك على الديلم، رغم أنه من الديلم، إلا أنهم أرادوا أن يثوروا عليه عام 335، فكانت حرب انتصر فيها بقوة التترك فرفعهم على الديلم وازدادوا تخريبا

      iii. **الفتنة الدينية**: ذلك أن بغداد كانت موئل السنة والجماعة، فجاء بني بويه فأرادوا نشر الرفض وعلق معز الدولة شتم معاوية والصحابة وأم المؤمنين في المساجد، وأمر بإغلاق الدكاكين في 10 محرم والخروج بالسواد وأن يضرب الناس أنفسهم ندما على موت الحسين، فكان أول من ابتدع هذا الصنيع، كذلك أعلن الإحتفال بعيد غدير خم في 12 ذي الحجة.

ثم أن ناصر الدولة الحمداني هاجم بغداد وكاد أن يستولي عليها إلا أن معز الدولة خدعه وهزمه واضطر ناصر الدولة أن يصالحه على مال يؤديه، ثم في عام 337 سار معز الدولة إلى الموصل للسيطرة عليها فخرج منها ناصر الدولة إلى نصيبين. وكاد معز الدولة أن يقضى عليه إلا أنه تلقى من أخيه ركن الدولة مكتوبا أن السامانيين هاجموا جرجان والري واستنجد به، فصالح معز الدولة ناصر الدولة على أن يدعو لأبناء بويه في البلاد التي تحت يده. ثم إن ناصر الدولة لم يوف بما

ضمن، فهاجمه معز الدولة عام 347 وطرده من الموصل ثم من نصيبين فسارع إلى أخيه سيف الدولة في حلب يستنجد به، فكاتب سيف الدولة المعز وضمن له البلاد بنفسه.

iv. **البريدي في البصرة**: وقد أراد أن يستقل بها عدة مرات، ثم سار معز الدولة إليها وملكها بعد أن طرد منها القرامطة، وانتصرت عليهم البصرة بفضل الوزير المهلبي.

v. **عمران بن شاهين**: وقد قام في أرض تسمى البطائح بين واسط والبصرة. وقد جمع عمران هذا اليه لصوصا وقطعوا الطريق إلى البصرة، ولمّا اشتدت قوته لأرسل اليه معز الدولة جيشا فكاد أن يهزمه لولا أنه اضطر إلى استدعائه إلى شيراز لضبطها بعد وفاة أخيه الأكبر عماد الدولة، ثم أرسل اليه جيش آخر ولكنه انهزم فاضطر إلى مصالحته ثم قويت شوكته واستمرت سيطرته على البطائح لحين وفاته من 329 إلى 369 ثم خلفه من بعده من عائلته حتى عام 384 حين استولى السلاجقة على البطائح.

b. **وفاة معز الدولة**: توفي معز الدولة عام 356 بعد أن أعطى إمرة الأمراء إلى ابنه بختيار ولكنه كان صغيرا ضعيفا فأخذها منه ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة في عام 367.

c. **عز الدولة بختيار**: وكانت الحال في عهده أسوأ من عهد أبيه لأنه كان مستهترا يحب اللهو والنساء والغناء، وخاصم كتّاب أبيه مع فضلهما وكذلك أوحش منه سبكتكين القائد التركي الكبير وقامت عليه العامة لشدة تشيعه ووقوفه ضد أهل السنّة.. ودام في الإمارة 11 عاما منها سبع في خلافة المطيع وأربعة في خلافة الطائع.

عبد الكريم الطائع بن الفضل (المطيع) بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (363-381):

1. تولى الطائع الخلافة عام 363 واستمر فيها 17 سنة. وكان بختيار لا يزال على إمارة الأمراء وكان أمره إلى زوال. ثم جاء عضد الدولة فأزاح بن عمّه وتولى الإمارة عام 367 بعد أن أثبت بختار عجزه، وأكرم عضد الدولة – ابن ركن الدولة الذي توفي عام 366 – إحتراما للخليفة وأمر بتجديد قصره وحماية إقطاعه.

2. **دولة بني بويه:**

a. **عضد الدولة البويهي**: وقد استولى على العراق بعد خلع بختيار وقبض على الوزير محمد بن بقية وقتله وعلقه مصلوبا وفيه يقول الشاعر أبو الحسين الأنباري:

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات

1. كان حازما عاقلا جوادا ثاقب الرأي يعطى في موضع العطاء ويمنع في وقت المنع ولا يقبل الرشاوى أو الوساطة، مع حبه للعب وغلوه في مدحه نفسه حتى قال عن نفسه:

عضد الدولة بن ركنها ملك الأملاك غلاّب القدر

2. استولى عضد الدولة على بغداد ثم على الموصل وأزال عنها ملك الحمدانيين. وسيطر على العراق بأسرها والجزيرة وفارس والأهواز وأقر سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني على حلب وفتح ديار ربيعة وبكر ومضر. إلا أنه فرض ضرائب شديدة على الأعمال وقسا في جمع المال في أخريات عمره. وتوفي عام 372 فخلفه ابنه صمصام الدولة.

b. **صمصام الدولة البويهي**: وولي عام 373 وكان في عهده اضطراب من قِبَل الأكراد الذين استولى زعيمهم شجاع بن دوستك على ديار بكر بعد موت عضد الدولة وقوي أمره حتى فكر في غزو بغداد فجهز له صمصام الدولة جيشا عظيما وهزمه ثم انتهى الأمر بمصالحته على بعض ديار بكر. وفي هذ الأثناء كانت القطيعة مع شرف الدولة أمير فارس الذي جهز جيشا ليغزو بغداد وبالفعل استولى على الأهواز من أخيه تاج الدولة ثم سار إلى بغداد وقبض على صمصام الدولة وأزاحه وتولى إمرة الأمراء عام 376.

c. **شرف الدولة البويهي**: كانت في عهده الذي دام أكثر قليلا من سنتين اضطرابات بين الترك والديلم استطاع تهدئتها وتوفي عام 379. وكان أمينا لا يحب الوساطات.

d. **بهاء الدولة البويهي**: وقد تولى الإمارة عام 379، ثم في عام 381 احتاج إلى المال فسار إلى دار الخليفة مظهرا أنه يريد أن يجدد البيعة له، ولما دنا منه ليقبله على عاداتهم جذبه من ردائه وأنزله عن سريره والطائع يردد لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أتى بالقاضي فخلعه وبويع بالخلافة للقادر أحمد بن اسحاق بن عم الطائع عام 381 واستمر فيها 41 سنة! وفي الطائع يقول الشريف الرضي:

من بعد ما كان رب الملك مبتسما إليّ أدنوه في النجوى ويدنيني

أمسيت أرحم من قد بتّ أغبطـــه لقد تقارب بين العز والهـــون

ومنظر كان بالسراء يضحكنـــي يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

هيهات أغتر بالسلطان ثانيـــة قد ضلّ ولاّج أبواب السلاطين

أحمد القادر بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (381-422):

1. وأمه أم ولد اسمها دمنة، وهو ثالث خليفة عباسي لم يكن أباه خليفة. وفي عهده ظهرت دول عربية كثيرة كمااستمرت عدة دول من السابق ذكرها منها:

   a. **الدولة النجاحية** في اليمن عام 412 على أنقاض الدولى الزيادية.

   b. **دولة الأكراد** في ديار بكر على يد الحسين بن مروان عام 380، زوج ابنة سيف الدولة "ست الناس" ومات عام 387، ثم تولى بعده أخيه أبو منصور بن مروان حتى 402 ثم أحمد بن مروان الذي حسنت سيرته جدا وأمنت الثغور في عهده حتى عام 453، ثم من بعده ابنه نظام الدولة نصر بن أحمد حتى انتهت سيطرتهم عام 489 على يد السلاجقة.

   c. **الدولة العقيلية**: محمد بن المسيب العقيلي 286، بالموصل واستمرت حتى عام 489 حتى انتهت عام 489 يد السلاجقة.

   d. **الحمدانيين**: في حلب سعد الدولة بن سيف الدولة ثم عهد عام 382 ابنه أبو الفضائل الذي كان صغيراً، وتولى لؤلؤ تربيته وسيطر على الحكم الفعلي. وكان الحمدانيون يخطبون باسم الحاكم بأمر الله في مصر على ما اتفقوا عليه. ولم يكن لهم وجود حقيقي بعد ذلك حتى قضي عليهم عام 388.

   e. **دولة بني مرداس**: ورأسها صالح بن مرداس الذي اتفق مع حسان أمير طيئ وسنان بن عليان على أن يتولى سنان دمشق، وأن يتولى حسان الرملة إلى مصر، و يتولى صالح حلب. وقد أنشأ دولة بني مرداس التي استمرت من 414 حتى أرسل الظاهر بن الحاكم الفاطمي عام 420 جيشا حارب صالح وقتله وهرب ابنه نصر وملك حلب حتى عام 472 حين وقعت الحرب بين المرداسيين والعقيليين وانتهت دولتهم.

   f. **الدولة السامانية في المشرق:** وكانت هذه الدولة قد قضت على الصفّاريين من قبل، إلا أنهم تعرضوا للكثير من الضغط من قبل البويهيين وغيرهم من أصحاب السيطرة في المشرق. وقد ظلوا في ملكهم حتى نوح بن منصور الذي مات عام 387 وخلفه ابنه منصور بن نوح وتحالف مع قائد جنده ولكنه خانه وخلعه وعيّن بدلا منه أخيه الصغير عبد الملك بن منصور الذي هو آخر ملوك السامانيين الذين قضت عليهم قوة السبكتيكيين عام 389. وعمّرت الدولة السامانية 128 عاما، وكان من أهم إنجازاتها الصناعات المتعددة كما دافعوا عن الثغور ضد الوثنيين إلا أنهم بحكم أنهم من الفرس عملوا على إحياء اللغة الفارسية والثقافة الفارسية، رغم أنهم لم يخرجوا يوما عن إطار الدولة العباسية وطاعة الخلفاء.

   g. **الدولة السبكتكينية:** وهي التي ورثت دولة السامانيين، ورأسها سبكتكين، الذي ولاه نوح بن منصور خراسان عام 384، ةطلب منه المساعدة ضد قواده الذين ثاروا عليه واستعانوا بفخر الدولة بن بويه، وتحارب الجيشان وانهزم قواد نوح، وسيطر هو وسبكتكين على خراسان وعيّن ابنه محمود على بخارى. وكان سبكتكين عادلا حسن السيرة ومات عام 387، وسيطر بعده ابنه

محمود بن سبكتكين على الملك وسيطر على خراسان وغزنة وكان عهده عهد رخاء وأمن، وفتح الكثير من بلاد الهند، ثم مات محمود عام 421 وعهد إلى ابنه محمد إلا أن مسعود، أخيه الأكبر لم يرض بذلك واستولى على الحكم وتوفي القادر ومسعود بن سبكتكين هو صاحب خراسان وغالب المشرق، ولم تنته الدولة إلا عام 582 على يد الدولة الغورية.

2. **الدولة البويهية – تكملة**:

   a. **بهاء الدولة البويهي:** وهو الذي ولى القادر وكان عصره مضطربا ومات عام 403.

   b. **أبو شجاع سلطان الدولة**: وهو ابن بهاء الدولة، ولم يكن عهده خيرا من عهد أبيه فخلعه أخوه

   c. **أبو علي شرف الدولة**: وقد كان أفضل من أخيه وأبيه واصطلح مه أبو شجاع أن يتولى هو العراق وأن يقوم أبو شجاع على فارس وكرمان. وتوفي عام 416

   d. **أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة**: وقد تنازع هو وابن أخيه ابو كاليجار السلطة حتى وفاة القادر.

3. **وفاة القادر**: كان القادر خيّرا حسن السيرة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر وقد صنف كتابا في عقيدة أهل السنة، وقد استعاد بغض قوة الخلافة لضعف البويهيين وحربهم فيما بينهم. ومات عام 422.

العصر العباسي الرابع: عصر السلاجقـة (447-656)

أبو جعفر عبد الله القائم[20] بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن على (المكتفى) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (432-467):

1. وقد ظل القائم في الخلافة 44 عاما. وكان السلطان في أول عهده لجلال الدين البويهي.
2. **نهاية الدولة البويهية:**
   a. **جلال الدولة البويهي**: وقد ظل في السلطنة حتى مات عام 435 وكانت كل حياته منازعات مع بن أخيه كاليجار، ولم يكن له من الأمر شئ كذلك.
   b. **محي الدولة كاليجار**: وقد استقرت له الأمور بعد وفاة عمه، وكان عهده مضطربا كذلك حتى مات عام 440.
   c. **أبو ونصر خسرو فيروز الملك الرحيم**: وقد أبى الخليفة أن يلقبه بالملك الرحيم أولا لأنها من صفات الله ثم خضع لذلك. واستمر في الملك حتى عام 447 حين سقطت الدولة تحت سيطرة السلاجقة بقيادة طغرلبك.
   d. **تقييم عام للدولة البويهية**: ولم تكن للدولة البويهية أية إنجازات رغم اتساع رقعتها وطول مدتها لما شابها من بدعة التشيع وما حاولوا أن يفرضوه على العامة من أهل السنة في بغداد. كماأنهم حاربوا بعضهم بعضا وهو من أهم أسباب نهاية الملك وزواله.
3. **السلاجقة**: وهم من التركستان السنيّون، وينتسبون إلى **سلجوق بن تقاق**. وقد كان سلجوق نجيبا وقربه ملك الترك الوثني ولكنه خشي منه فحاول قتله فهاجر بأهله واعتنق الإسلام، وساعد أحد ملوك السامانية ضد الترك، وكان له أولاد ثلاثة هم أرسلان وميكائيل وموسى. ومنهم كان **محمد طغرلبك**. وبعد حروب ومعارك استمرت سنوات عديدة، دارت مع السبكتكيين وغيرهم، انتصر طغرلبك عام 429 و431 على مسعود بن سبكتكين، وملك نيسابور وجرجان وطبرستان وخوارزم، ووصل إلى حدود العراق، ولم يكن كاليجار البويهي به قوة لصده، فدخل بغداد عام 448 بعد أن خطب له الخطباء وقبض على الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين. وكانت هناك عدة بيوت من السلاجقة ينتمون إلى بطون مختلفة هي:
   a. **السلاجقة العظام**: واستمرت من 429 إلى 522 وانتهت دولتهم على يد شاهات خوارزم.
   b. **سلاجقة كرمان**: من 432 إلى 583 وانتهت دولتهم على يد الغز التركمان.
   c. **سلاجقة العراق وكردستان**: من 511 إلى 590 على يد شاهات خوارزم.

---
[20] رقم 26

d. **سلاجقة سوريا**: من بيت ألب أرسلان، من 487 إلى 511 وانتهت على يد الدولة النورية.

e. **سلاجقة الروم**: من 470 إلى 700 وهم أطولهم مدة وانتهت على يد الأتراك العثمانيين والمغول.

i. **محمد بن طغرلبك**: وقد حسنت العلاقة بين السلطان وبين الخليفة حتى أن الخليفة تزوج من أهل بيت طغرلبك، وذلك يرجع إلى سنيّـة السلاجقة وتدينهم بإحترام الخلفاء خلافا للشيعة البويهيين. ثم إن طغرلبك أراد أن يناسب الخليفة فأرسل يخطب ابنته ليكون له بذلك ما لم يكن لأحد من السلاطين من قبله، وهو النسب الشريف، وكبر هذا على الخليفة إذ لا سابقة لهذا في بيت الخلافة. ثم قبل وبالغ طغرلبك في الإحترام والتبجيل للخليفة وابنته، حتى أنه ظل يدخل عليها وهي على سريرها لا تنكشف فيسلم ويخدم ثم ينصرف. وقد خرج عليه أخيه إبراهيم عام 470 فحاربه وترك بغداد، مما أدى إلى أن استولى عليها من يدعى البساسيري الشيعي من اتباع بني بويه، وحكمها عاما كاملا واستنجد بالفاطميين لنصرته على السلاجقة، ولكنهم لم يكونوا يثقون به بشكل كامل فتركوه لمواجهة السلطان بمفرده فقتل عام 451 وكان الخليفة القائم أيامها قد خرج في ذمة رئيس العرب قريش بن بدران العقيلي بالموصل، وأرسل السلطان الإمام بن فورك المعروف من الأشاعرة لحماية السلطان وإحضاره مرة أخرى إلى بغداد، وعاد القائم إلى بغداد عام 455، وهو العام الذي توفي فيه طغرلبك. وفي هذه السنين عاش الجويني وغيره من أعلام الإئمة وقد كتب غياث الأمم بأمر القائم.

ii. **عضد الدولة ألب أرسلان (بن ميكائيل):** وكان عادلا تحسنت الأحوال في أيامه، وكان محاربا مقداماً حارب الروم في أرمينية وهزمهم هزيمة منكرة عام 464 في معركة ملاذكرد. وقد استوزر نظام الملك وكان عظيما نال البلاد علي يديه الخير العميم، وبنى العديد من المدارس العلمية الدينية ومنها النظامية التي كان بها الجويني ثم الغزالي. ثم ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة القادر حين عيّن ابنه ملكشاه دون إذن الخليفة حتى أن الخليفة فكر في خلعه إلا أنه مات عام 465، ومات من بعده القادر عام 467. وتولى ملكشاه بن ألب أرسلان السلطنة في نهاية عهد القائم وبداية عهد المقتدي (حفيد القائم، إذ أنه لم يكن له ولد حيّ وقتها).

أبوالقاسم عبد الله المقتدى[21] بن أبى العباس محمد بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن على (المكتفى) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (467-487):

1. كانت خلافة المقتدي 19 عاما. وهو من خيرة بني العباس، وكان قوي النفس متدينا منع المغنيات من دخول بغداد ومنع اللهو واجتماع الرجال والنساء.

2. **السلاجقة:**

[21] رقم 27

a. ملكشاه بن ألب أرسلان: وكان عادلا منصفا شجاعا مقداما، وقد بلغ قسطنطينية في فتوحاته. وكان من أفضل أعماله استوزاره الوزير نظام الملك، وكان من العلماء الأجواد وكان يسمع الحديث ويدرسه، وبنى العديد من المدارس وأجرى على أهلها الأعطيات. وقد كان طغرلبك قد أمر بلعن الرافضة في بلاده، وأضاف إليهم وزيره عميد الدولة لعن الأشاعرة! فأوقف نظام الملك ذلك وأعاد الجويني إلى بلاده بعد أن هجرها خوفا من السلطان. وكان ينظر فيالمصالح ويرتب الأوقاف، فكان غرة في جبين السلاجقة. وكان نظام الملك صاحبا للغزالي وقرينا له، وكان شافعيا أشعريا. وقد مات نظام الملك مقتولا بيد أحد الملاحين عام 485، ومن الغرائب أن ملكشاه مات بعده ب33 يوما! وقد اتسع ملك ملكشاه اتساعا عظيما حتى خطب له من أقاصي الصين إلى أقاصى الشام. وكان له أربعة أولاد فطلبت أمهم من الخليفة المقتدي تولية محمود، وكانت مشيئة الله أسرع اليه من توقيع القرار إذ مات المقتدي فجأء وهو يقرأ التوصية لمحمود! عام 488، ومن ساعتها وقع السلاجقة يما وقع فيه أسلافهم من صراع دموي داخلي أدىإلى إنهاء دولتهم.

أبوالعباس أحمد المستظهر[22] بن محمد (المقتدى) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن على (المكتفى) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (487-512):

1. ودامت خلافته حولا من 24 عاماً. وقد ولي في عهده اثنان من السلاجقة كما سيأتي.

2. **السلاجقة**:

a. **بركياروق بن ملكشاه:** وقد استوزر الحسين بن نظام الملك ولم يكن كفئا، وتفرغ للهو واللعب والفساد، ثم استوزر عبد الله بن نظام الملك وكان كفؤا كأبيه، وكان من نتيجة استهتار بركياروق أن طمع عمه تتش بن ألب أرسلان في السلطنة فتحاربا خمسة سنوات من 492 إلى 497. ثم استقر الأمر بينهما على الصلح إلا أن بركياروق لم يلبث أن مات عام 497.

b. **محمد بن ملكشاه**: ومع شجاعته وعدله إلا أنه لم يحالفه التوفيق في اختيار عماله، واستمر في السلطنة 27 عاما حتى توفي عام 511، قبل وفاة المستظهر بعام واحد. وتولى من بعده **محمود بن محمد بن ملكشاه.**

3. **الباطنية الحشاشون**: ظهرت حركاة خطيرة للباطنية بمناصرة الفاطميين وكان على رأس دعاتها **"الحسن بن الصباح"** وقد عرفت دعوتهم بالسرية الشديدة والتكتم التام، وعرفوا في التاريخ باسم الحشاشون، لتناولهم المخدر المعروف بالحشيش، واستولى الحسن على مناطق في شمال إيران وأغار على الدولة السلجوقية واستعمل أسلوب إغتيال رؤوساء السنة ومن هنا جاءت الكلمة الإنجليزية "assasains" حيث نقلها الصليبيون إلى أوروبا على أنها اسم هذه الطائفة، وتعنى المغتالين. واستولى على قلعة ألموت. وقد قضى هولاكو من بعد على فرعهم في فارس واستعاد القلعة المشهورة، وقضى الظاهر بيبرس علي فرعهم في الشام من بعد.

[22] رقم 28

4. **الحروب الصليبية**: أمر آخر بدأ في هذا العهد، وهو ما عرفه التاريخ باسم الحروب الصليبية، حين أجج البابا أوربانس الثاني مشاعر المسيحيين وما دعا اليه بطرس الراهب قد حشد أولئك لحرب المسلمين من الغرب، وهو ما بدأت تباشيره عام 462 حين حارب ملك الروم الشام وقتل أهلها قتلا فظيعا، ثم كان من قوة ألب أرسلان أن ردهم مدحورين، ثم عاد الجيوش عام 491 فدخلت القدس، على ما يأتي بعد إن شاء الله في قصة الحروب الصليبية.

5. **الأتابكــــة**: كذلك فقد ساعدت الحروب التي قامت بين أفراد البيت السلجوقي أن بدأت ظاهرة أدت إلى تكون ما عرف بدول الأتابكة. وكلمة أت بك معناها مربي الأمير، وأصلهم موالي مت الترك قد جلبهم سلاطين السلاجقة لتربية أولادهم، ثم ترقوا بفضل جهدهم لمناصب رفيعة، وقد استأثر هؤلاء الأمراء بما تحت أيديهم ولم يتمكن السلاجقة من الوقوف بوجههم فسلموا لهم السلطة في أماكن عديدة من البلاد. ومنهم أتابكة الموصل وهم بيت زنكي المشهور بالشجاعة والحرب، وانتهت دولتهم أيام اسماعيل بن لؤلؤ على يد المغول عام 660. ثم كانت هناك أتابكة دمشق، وسوريا (وهم فرع آل زنكي برئاسة نور الدين محمود الذى استقل عن أخيه بعد موت أبيهما عماد الدين في الموصل) والجزيرة وأذربيجان وأربل، وقد قضى المغول عليهم جميعا.

6. **الشاهات**: كذلك قامت مجموعة أخرى من نواب السلاطين بالإستئثار باقوة في أماكن أخرى ولقبوا بالشاهات (جمع شاه) واشتهر منهم شاهات خوارزم وأولهم محمد بن أنوشكين وعلى يديهم انتهت دولة السلاجقة في خراسان، وكان ابنه محمد عادلا فاضلا كريما واستمرت دولتهم حتى أزالها المغول عام 628. وشاهات أرمينيا. وكان الشاهات والأتابكة هم ورثة السلاجقة.

7. **الدولة الغورية**: وأصلهم من الغور بين هراة وغزنة وهي بلاد صحراوية موحشة، وقد قامت على أطلال الدولة السبكتكينية وكلاهما من ملوك الهند العظام ومكانها في أفغانستان. وأسسها قطب الدين محمد بن الحسين عام 543، ثم قامت الحرب بين البيت الغوري وأصحاب غزنة من البيت السبكتكيني وانتصر ملوك غزنة السبكتكينيون، إلا أنه الغوريون عادوا فاتصروا عليهم وقضوا عليهم عام 582 على يد غياث الدين الذي أطلق عليه لقب أمير المؤمنين. ومن أشهر ملوكهم شهاب الدين الغوري المتوفي عام 686. وقد كان لهم دور عظيم في حرب الصليبيين الثانية في عهد المقتفي.

أبو منصور الفضل المسترشد[23] بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدي) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (512-529):

1. وقد دامت خلافته 17 عاما. ولكنه قتل على أيدي الباطنية لعنة الله عليهم.

2. **السلاجقة**:

[23] رقم 29

a. **محمود بن محمد بن ملكشاه**: وقد ولي بعد أبيه، ولكنه دخل في حرب ضد عمه سنجر بن ملكشاه الذي النتصر عليه ثم أعاده إلى الولاية. ثم خرج عيه أخوه مسعود بن محمد عام 514، ولكنه هزمه ثم أكرمه. وقد هزم السلطان محمود الباطنية وأرجع قلعة ألموت من يد الحسن بن الصباح عام 524. ثم توفي عام 525، وكان عفيفا حليما شجاعا.

b. **داوود بن محمود بن محمد**: وقد ولي بعد أبيه محمود إلا أن عمه مسعود قام ضده وهزمه وخطب له في بغداد.

c. **مسعود بن ملكشاه**: لما ولي مسعود لم يعجب ذلك شنجر أخيه فحاربه وأزاله عن السلطنة وعاتبه ثم أقام مكانه طغرل إبن أخيه، ولكن مسعود عاد مرة أخرى وحارب طغرل وانتصر عليه وعادت السلطنة له في بغداد. ثم إن الخليفة المسترشد أراد أن يعيد للخلافة هيبتها فتجهز لقتال مسعود، ولكنه انهزم لقلة العصبية في جيشه، ثم اتفق مع مسعود على الصلح، إلا أن الباطنية إغتالوه عام 529.

أبو جعفر المنصور الراشد[24] بن الفضل (المسترشد) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدي) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (529-530):

1. ولي بعد المسترشد ودامت خلافته عدة شهور فقط. ذلك أنه أراد أن يثأر لأبيه فجمع حوله العديد من الجند والقواد إلا أنهم تفرقوا من حوله بما فيهم "عماد الدين زنكي" صاحب الموصل الشهير المتوفي عام 541، وكان من الأتابكة التي انتشرت دولهم من حول بغداد في هذا الزمان.

2. **السلاجقة**:

a. **مسعود بن ملكشاه**: حين علم مسعود بنوايا الراشد، عاد إلى بغداد وخرج منها الخليفة مع عماد الدين، وخلعه مسعود وولي بعده المقتفي.

أبو عبد الله الحسين المقتفي[25] بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدى) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (530-555):

1. وقد كانت خلافته 26 عاما، وصاهره السلطان مسعود، وقد طرد السلاجقة من بغداد بعد وفاة السلطان مسعود.

2. **السلاجقة**:

[24] رقم 30

[25] رقم 31

a. **مسعود بن ملكشاه**: وقد عاش مسعود في عصر المقتفي 16 عاما حتى مات عام 547، وكان جوادا عفيفا متبسطا. وبموته انتهى الدور الرئيسي لدولة السلاجقة، وورثتها دول الأتابكة. وولي بعده ابن أخيه ملكشاه بن محمود، إلا أن أخاه محمد بن محمود أراد أن يسلبه ملكه، وكان مقيما بأصفهان وبالفعل سيطر محمد على أصفهان واستولى ملكشاه على همذان. وانفرد الخليفة للمرة الأولى ببغداد منذ أيام المعتضد. وتوفي السلطان محمد عام 554 واختلف القواد من بعده حتى ولوا **أرسلان بن طغرل**.

3. **الحروب الصليبية الثانية**: وقد قامت في عهد المقتفي حين رأى الروم أن محمود نور الدين من الأتابكة في الشام وما أصابهم به من خسائر، فسار ملك المانيا وملك فرنسا إلى دمشق وبيت المقدس ووقف في وجههم أتابكة الموصل ونور الدين زنكي فردهم عن دمشق خائبين عام 547 بعد أن حاصروها عام 543. واستولى نور الدين على دمشق.

4. **وفاة المقتفي**: وقد توفي المقتفي عام 555.

أبو المظفر يوسف المستنجد[26] بن (المقتفى) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدي) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (555-566):

1. كانت خلافته 11 عاما. وكان منفردا بالحكم في العراق، وكان الأمر للسلاجقة في عهده في خراسان لأرسلان بن طفرل. وكان ديّنا شجاعا أزال حكم الإقطاعيات وأعادها إلى الخراج.

2. وفاة المستنجد: وقد ولي بعده ابنه المستضيئ.

أبو محمد الحسن المستضيئ[27] بن (المستنجد) بن (المقتفى) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدي) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن على (المكتفى) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (566-575):

1. أمه أم ولد أرمينية اسمها غضة. وكانت خلافته 9 سنوات. وكان عادلا حسن السيرة فعاش محمودا سعيدا ومات سعيدا.

2. مات في عهده السلطان العظيم **"نور الدين زنكي"** قاهر الصليبيين وصاحب الملك العادل الكبيرفي سوريا وحلب. وهو الذى عيّن **أيوب** والد صلاح الدين حاكما على دمشق ثم أرسل جيشا لقتال الفاطميين في مصر بقيادة عز الدين شيركوه ومعه **صلاح الدين الأيوبي** ثم عيّن صلاح الدين على وزارة مصر وكانت هذه هي بداية نجم الدولة الأيوبية.

[26] رقم 32
[27] رقم 33

أبو العباس أحمد الناصر[28] بن الحسن (المستضيئ) بن (المستنجد) بن (المقتفى) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدي) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفى) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (575-622):

1. أمه أم ولد تركية اسمها زمرد. ودامت خلافته 47 عاما وهي أطول مدة في خلفاء بني العباس قبل المستنصر الذي ولي 60 عاما وعبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس وولي 50 عاما. وكانت الخلافة أيامها في أوج تفردها بالسلطة في العراق. وحدثت في نهاية أيامه النكبة الكبرى التي أصابت العالم الإسلامي وهي غزو المغول لأطراف العالم الإسلامي توطئة لغزو بغداد وانهيار الخلافة العباسية.

2. قامت الخلافات بين الناصر وبين أحد شاهات خوارزم هو علاء الدين خوازمشاه، وحارب الخليفة الناصر الذي طمع فيالسيطرة على بلاد الري وما وراء النهر ولكنه هزم، وأراد ابنه قطب الدين خوارزمشاه عام 596 أن يخطب باسمه في بغداد ولكن الخليفة أبى ذلك. وقد قال بعض المؤرخين أن الناصر هو الذي كاتب جنكيز خان ليستنصر به على خوارزمشاه، وكان مراده أن يشغل خوارزمشاه بحرب جنكيز خان ولكن قدر الله كان نافذا.

3. **المغول**: وهم من سكان منغوليا شمال الصين، وكان قائدهم تموجين محاربا عظيما جمع حوله قبائل المغول وحارب الترك. ووضع لهم قانون يحكمون به هو "اليساق" وفيه شرائع عدة استشفها من قوانين ما جاوره من حضارات، وفيها قتل الزاني سواء محصن أو غير محصن وقتل من بال على الماء أو الرماد ومن خسر في تجارة أعطيها ثلاث مرات، وأن من ذبح كذبح المسلمين قتل! وقد ظهر المغول على مسرح الأحداث وولد **جنكيز خان** عام 549.

   وقد كانت هناك معاهدة بين خوارزمشاه وجنكيز خان للتجارة في عام 612، ولكن أحد ولاة خوارزمشاه طمه عام 615 في مال بعض التجار المغول فأرسل إلى خوارزمشاه أن هؤلاء جواسيس فقتلهم وأخذ مالهم، ، وقد حاول جنكيز خان أن يتلافى الحرب، فأرسل إلى خوارزمشاه أن يرسل إليه هذا الوالى ليعاقبه، فأبى خوارزمشاه وقتل رسول جنكيزخان فكانت هذه هي القاصمة، فسار جنكيز خان في جحافل عظيمة واستولى على بخارى عام 616 وخربها[29] بعد أن كانت من جنان الأرض، فأصبحت كأن لم تغن بالأمس، وامتد ملك جنكيز خان من الصين إلى حدود العراق وإلى روسيا، وقسّم هذه الممالك الشاسعة بين أولاده الأربعة، ثم مات عام 624 بعد عامين من وفاة الناصر.

أبو نصر محمد الظاهر[30] بن أحمد (الناصر) بن الحسن (المستضيئ) بن (المستنجد) بن (المقتفى) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدي) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفى) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (622-623):

[28] رقم 34

[29] بن الأثير ج10 ص399 وبعدها

[30] رقم 35

1. كانت خلافته أقل من عام واحد. وكان آية في العدل والإحسان والتقوى، وقد جدد عهد العمرين. ولكن قدره لم يمهله إلا عاما واحدا استقرت فيه البلاد على أحسن حال وزال الفساد والباطل.

2. ولي من بعده ابنه المستنصر.

أبو جعفر المستنصر[31] بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) بن الحسن (المستضيئ) بن (المستنجد) بن (المقتفى) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدى) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (623-640):

1. وقد دامت خلافته 17 عاما، وكان كأبيه عدلا جوادا صاحب دين وتقوى ينفق في سبيل الله ويستوى عنده الفقر والغنى. وقد كانت حال المسلمين أيامها أشبه ما تكون حالنا اليوم فكرهوا الجهاد وثبطهم الله وانشغلوا باللهو واللعب، يقول ابن الأثير في أحداث عام 628 في باب ذكر "ملك التتر براغة" مانصّه: وفي هذه السنة حصر الترك مراغة من أذربيجان، فامتنع أهلها، ثم أذعن أهلها بالتسليم على أمان طلبوه، فبذلوا لهم الأمان، وتسلموا البلد، وقتلوا فيه إلا أنهم لم يكثروا القتل، وجعلوا في البلد شحنة، وعظم حينئذ شأن التتر، واشتد خوف الناس منهم بأذربيجان، فالله تعالى ينصر الإسلام والمسلمين نصراً من عنده، فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا في نصرة الدين بل كلّ منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندي من العدو، وقد قال تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}"[32] ، إلا أن هؤلاء الحكام كانوا لا يزالون مقيدين بالشريعة على الجملة، وأما ما نحن فيه فمروق كامل وخروج تام مقنن على أحكامها.

2. **المغول**: وقد مات جنكيز خان لعنة الله عليه عام 626، في عهد المستنصر، وقد كان آخر ملوك السلاجقة جلال الدين مكبرتي هو الملك على أقطار الأرض، وكان قد قضى على كل من فيه رمق من رياسة، فانتزع منه التتر ملكه ولم يكن هناك من بعده من يذود عن حياض الإسلام، وقتل جلال الدين وحيدا وكان فاسداً يحب الصبيان.

أبو أحمد عبد الله المستعصم[33] بن أبي جعفر (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) بن الحسن (المستضيئ) بن (المستنجد) بن (المقتفى) بن أحمد (المستظهر) بن محمد (المقتدى) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (القادر) بن اسحاق بن جعفر (المقتدر) بن علي (المكتفي) بن أحمد (المعتضد) بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) (640-656):

1. وهو آخر خلفاء الدولة العباسية. ومدة خلافته 16 عاماً. وقد وصفه المؤرخون بأنه كان عفيفا دينا إلا أنه ضعيف الشخصية مطموع فيه.

2. **سقوط بغداد:**

[31] رقم 36
[32] ابن الأثير ج10 ص493.
[33] رقم 37

a. استوزر المستعصم بن العلقمي الشيعي، وكان ينتصر لأهل مذهبه، وكان أهل السنة يؤدبون الشيعة من وقت لوقت، فراسل بن العلقمي هولاكوخان حفيد جنكيزخان، وكان هو ملك المغول في هذا الزمان، بعد والده تولي بن جنكيزخان. وسار هولاكو بجيوش جرارة قاصدة بغداد فوصلتها في منتصف المحرم عام 656، وقد تآمر في ذلك مع "نصير الدين الطوسي" الشيعي وزير هولاكو الذي قتل الخليفة والقضاة بعد سقوط بغداد وشفى غلّ نفسه من أهل السنة وانتصر لأتباعه من الرافضة المبتدعة منهم وأهل الكفر (بن القيم في إغاثة اللهفان، وبن تيمية في الفتاوى). ونصير الدين الطوسى هذا هو الذي يترحم عليه إمام الضلال الخميني!

نهاية الدولة العباسية على أيدى التتار عام 656 (هولاكو)

ملحــق

الحروب الصليبيـــة

القدس الإسلامية:

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- تم فتح الشام وفلسطين، وجاء الخليفة بنفسه لتسلم القدس سنة 16هـ/ 637م. والقدس مدينة هامة من الوجهة الدينية لدى معتنقي النصرانية واليهودية كما هي في غاية الأهمية للمسلمين. لقد فتحت هذه المدينة، وأصبح المسلمون سادتها، ولأنهم قد تعلموا من دينهم التسامح فقد فتحوا أبواب المدينة للحجاج المسيحيين يأتون ويعودون في سلام وأمان.

وبقيت هذه السّنة تقليدًا تبعه الخلفاء من بعده، فقد امتاز عهد الرشيد (راجع ص 29) بمستوى رفيع من التسامح الديني، فقد سمح بأن يهدى بابا المسيحيين في القدس للملك "شارلمان" إمبراطور المسيحيين في ذلك الوقت، مفاتيح "كنيسة القيامة"، كما سمح له ببناء مستشفى فيها، ومكتبة جمعت كثيرًا من الدراسات المسيحية، وقد كان هذا التسامح سمة كل العصور الإسلامية قاطبة.

بداية الحروب الصليبية:

كان البويهيون (كعادة الشيعة في كل وقت) يقفون موقفًا سلبيّا من أعداء الإسلام بعد استيلائهم على الخلافة العباسية ببغداد؛ مما شجع ملك الروم سنة 462هـ/ 1070م على غزو الشام، فقد خرج ملك الروم في ثلاث مائة ألف مقاتل، ونزل على "مَنْبج" وأحرق القرى بينها وبين أرض الروم، وقتل رجالهم، وسَبَى نساءهم وأولادهم.

وفزع المسلمون في حلب فزعًا عظيمًا، ولم يكد العام ينتهي حتى عاود ملك الروم هجماته بجيش كثير العدد والعدة يريد القضاء على الإسلام والمسلمين، حتى وصل إلى "**ملاذ كرد**" من أرمينيا، ولكن "ألب أرسلان السلجوقي" سار إليه في خمسة عشر ألفًا، وكله إيمان بالله، ويقين بأن الله ناصر دينه، قائلا: "إنني أقاتل محتسبًا صابرًا، فإن سلمت فبنعمة من الله تعالي، وإن كانت الشهادة (الموت في سبيل الله) فإن ابني "ملكشاه" ولي عهدي!

وأشار الفقيه "أبو نصر البخاري" أن يكون يوم الجمعة بعد الصلاة هو موعد اللقاء مع الأعداء، بعد أن يدعو جميع الخطباء للمجاهدين في سبيل الله على المنابر، وصلى بهم الفقيه البخاري، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائه، ودعا ودعوا معه، ثم قال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف، فما ههنا سلطان يأمر وينهي. ثم أخرج السلطان كفنه ليراه جنوده -ليحفزهم على الاستشهاد- ففعلوا مثله.

وبدأ الزحف إلى الروم، فلما اقترب السلطان منهم نزل عن فرسه، وسجد لله-عز وجل-ومَرَّغَ وجهَه في التراب، ودعا الله، وطلب منه النصر على أعدائه، وأخذ في التضرع والبكاء، ثم ركب فرسه، وهجم على العدو فحملت العساكر معه، وكان نصر الله على الرغم من قلة عدد المسلمين وكثرة أعدائهم، لكن النصر من عند الله ينصر من يشاء، وهو القوي العزيز.

كان أرسلان، رحمه الله، عادلاً رحيمًا مقرّا بأنعم الله عليه، يتصدق على الفقراء، ولا سيما في رمضان. وشاء الله أن يقتل المسلمون من الروم عددًا كبيرًا حتى امتلأت الساحة بجثث القتلى منهم، وأُسر ملك الروم، وافتدى نفسه بألف ألف وخمسمائة ألف دينار، كما افتدى قواده، وكان موقف أرسلان قويّا، يستمد قوته من عزة المسلم الذي يستمد عزته من عزة الله سبحانه، فقد فرض أرسلان على ملك الروم أن يرد كل أسير مسلم في أيدي الروم، وشرط عليه أن يرسل إليه عساكر الروم عند طلبها في أي وقت.

وكانت موقعة "ملاذكرد" هذه بين السلاجقة والروم سنة 463هـ/ 1071م، من المعارك الحاسمة التي أدت إلى هزيمة ساحقة مروعة للروم، وذلك رغم التفاوت الكبير بين القوتين، إذ لم تزد قوات أرسلان على عشر قوات الصليبيين.

اجتماع كليرمونت:

وقد أدى ذلك إلى أن يستنجد أحد أباطرتهم (ملوكهم) بأوروبا ويستغيث بها، فراح البابا يدعو إلى اجتماع عام في "كليرمونت" بفرنسا ويدعو المجتمعين إلى غزو الشرق الإسلامي، وتخليص الأراضي المقدسة من الترك، وتخليص أراضي الإمبراطورية البيزنطية من الأعداء الغاصبين، وراح يحث الأمراء على توسيع أملاكهم وغزو الشرق الغني، فماذا كانت النتيجة؟ وكيف كانت هزيمة "ملاذ كرد" سببًا في قيام الحروب الصليبية؟ وفي أثناء هذه الحروب ظهر خطر المغول، فكيف واجهت البلاد إعصار المغول، والحروب الصليبية؟

الحملة الصليبية الأولى 487-492: استيلاء الصليبيين على القدس:

وفي عام 491هـ/ 1097م؛ تجمعت قوات الصليبيين في القسطنطينية، وبعد أن تم إعدادها عبرت البسفور إلى الشام، ودارت بينهم وبين السلاجقة معركة عام 1097م، عند "ضورليوم"، ولكن هزم فيها السلاجقة، ثم استولى الصليبيون على أنطاكية في شمالي الشام، وأسسوا بها أول إمارة لهم، ثم استولوا على الرها في إقليم الجزيرة الشمالي، وأسسوا إمارتهم الثانية واتجهوا إلى مدينة القدس وبها بيت المقدس.

وأمام أربعين ألف مقاتل، لم يستطع جيش الفاطميين فك حصارهم للمدينة الذي استمر شهرًا كاملا، ودخلوها في النهاية في سنة 492هـ - 15 يوليو 1099م، وأقاموا فيها مذبحة قضوا على سكانها جميعًا رجالا ونساءً وأطفالا وكهولا، واستباحوا مدينة القدس أسبوعًا يقتلون ويدمرون حتى قتلوا في ساحة الأقصى فقط سبعين ألفًا من المسلمين. ويذكر أن ريموند القائد الصليبي احتل "مَعَرَّة النعمان"، وقتل بها مائة ألفٍ، وأشعل النار فيها، ثم أقاموا دولتهم الكبرى المعروفة باسم مملكة القدس. وفي هذه الحملة، ظلت بعض مدن الشام الهامة مثل حلب ودمشق في أيدي المسلمين. لقد تم الاستيلاء على القدس، وشعر الصليبيون أنهم حققوا واجبهم الديني باستعادة المدينة المقدسة.

وقد قسم الصليبيون هذا الإقليم إلى أربع إمارات:

1. إمارة الرُّها 492هـ/ 1098م، وتشمل أعالي نهري دجلة والفرات، وتقرب حدودها الجنوبية الغربية من حلب، وكانت عاصمتها الرها التي توجد في بعض الخرائط باسم إدريسّا.

2. أما الثانية فهي إمارة أنطاكية، وتقع في الإقليم الشمالي جنوب غرب إمارة الرها.

3. ثم تليها جنوبًا إمارة طرابلس وهي تقع في شريط ضيق على الساحل وهي أصغر هذه الإمارات.

4. أما الرابعة فهي مملكة القدس، وتمتد حدودها الشرقية من قرب بيروت الحالية، ثم تتبع نهر الأردن حيث تتسع قليلا، وتتجه جنوبًا إلى خليج العقبة، وكانت عاصمتها القدس نفسها.

وكان لكل إمارة من هذه الإمارات أمير أو حاكم يحكمها، لقد استولوا على القدس، وها هو ذا نصرهم قد تم، وها هي ذي أوربا كلها في فرح متزايد، ولكن الخلافات بينهم قد عادت كأشد ما تكون بعد أن تم لهم النصر.

الحملة الصليبية الثانية 507-549: انتصار نور الدين على الصليبيين:

وبرغم الآلام التي عانى منها المسلمون تحت مطارق الصليب، وبحار الدماء والحقد، عاد الإسلام-ولم يكن قد مات يومًا- يشعل صدور المسلمين، فهبوا جنودًا لله كما كانوا، وقيض الله لهذه الأمة رجلا تركيّا هو "عماد الدين زنكي" الذي عرف أن طريق النصر يبدأ دائمًا بالعودة إلى الله. كيف كان ذلك؟

عندما انقسمت دولة السلاجقة بعد "ملكشاه" استطاع أحد مماليكه الأتراك وهو عماد الدين زنكي أن يستقل بإقليم الموصل وكوّن دولة من دول الأتابكة.

وما لبثت قوة هذا الرجل أن تضاعفت فقام بهجوم على **"الرها" Edessa**، وتمكن من الاستيلاء على عاصمتها رغم مناعة أسوارها سنة 539هـ/1144م. وكان لسقوط "الرها" في أوربا هِزة عنيفة أدت إلى الدعوة إلى حملة صليبية أخري.

ويحمل **نور الدين محمود** بن عماد الدين زنكي عبء الجهاد والدفاع عن أرض الإسلام بعد استشهاد أبيه عماد الدين عام 541هـ/1146م، على يد أحد أتباع المذهب الإسماعيلي (المعروفون باسم الحشاشين الباطنية)، ويعيد نور الدين فتح الرها التي سارع الصليبيون إلى احتلالها بعد استشهاد أبيه، ويعود مظفرًا إلى حلب، ومن هناك يستعد للقاء الصليبيين، ويهزمهم بالقرب من دمشق، بل ويهاجم بعد ذلك إمارة إنطاكية ويستولي على أجزاء منها، ويقبض على أميرها بوهيموند وجماعة من أكابر أمراء الصليبيين، واستطاع أن يخضع باقي مدن الرها التي لم تكن قد خضعت من قبل. ثم توج جهوده لما دعاه أهل **دمشق** لحكمهم بعدما رأوا عدله وشجاعته، فتكونت جبهة إسلامية واحدة تمتد من حلب إلى دمشق ويدعمها ملك أخيه في الموصل. كم أنت عظيم يا نور الدين، لقد أضأت للمسلمين طريقهم؛ فعرفوا كيف يكون الجهاد والتضحية.

موقف مصر من الصليبيين:

كانت مصر في ذلك الوقت تحت سلطان الفاطميين الذين كانوا وقتذاك في أقصى حالات الضعف، فقد كانت السلطة الفعلية في أيدي الوزراء الذين كانوا يعملون على اختيار الخليفة من ضعفاء الفاطميين حتى يضمنوا سيطرتهم الدائمة

على مصر! وكانت مصر شديدة الأهمية للصليبيين ولدولة نور الدين. إن وقوعها في أيدي الصليبيين يقويهم، ويمدهم بموارد لا حصر لها. ووقوعها في يد نور الدين يضع الصليبيين في موقف حرج حيث تهاجمهم قوات المسلمين من ثلاث جهات: الشرق، والجنوب، والجنوب الغربي، كما أن موارد نور الدين وجيوشه سوف تعظم وتتضخم إن هو استولى على مصر، فكيف السبيل إليها؟

لقد هيأت الأقدار لنور الدين أحسن الفرص. فقد عرف أن قيادة مصر في ذلك الوقت كانت في أيدي الوزراء، وكان أكبر المتنافسين الوزيران: "شاور" و"ضرغام"، وقد اضطر "شاور" إلى الهروب إلى نور الدين والاستنجاد به حين هزمه "ضرغام" وأوشك أن يفتك به. وبلغ "نور الدين" أن جيشًا من الصليبيين كان يتجه نحو مصر ليسبقه إليها. فتحرك نور الدين على عجل، وجهز جيشًا بقيادة "أسد الدين شيركوه" يصحبه ابن أخيه صلاح الدين، ودخل جيش نور الدين مصر عام 560هـ/1164م، وسرعان ما انتصر على قوات "ضرغام" وأعاد "شاور" إلى السلطة، ترى هل يقدِّر "شاور" ما قام به تجاهه نور الدين وقائد جيشه أسد الدين شيركوه؟ لا، بل أراد أن يتخلص من أسد الدين وجيشه عندما أحس أنهما يقاسمانه النفوذ.

الوزير الفاطمى يستنجد بالصليبيين:

هناك تكون كارثة بكل ما في الكلمة من معني! لقد استعان شاور بجيش الصليبيين الذي كان يرابط على الحدود، وسرعان ما استجاب جيش الصليبيين لشاور فدخل مصر، واشتبك مع جيوش نور الدين!

واشتد القتال، ولكن لما لم ترجح كفة أحد الفريقين اتفقا على أن يرحلا معًا عن مصر، وسرعان ما جلا جيش نور الدين وجيش الصليبيين. ولكن جيش نور الدين عاد إلى مصر ثانية في عام 563هـ/ 1167م .

وعند ذلك أرسل "شاور" يستنجد بملك القدس المسيحي الذي أرسل جيوشه لمحاربة أسد الدين شيركوه، ولكن شيركوه هزم الصليبيين، واستولى على الإسكندرية التي نصَّب عليها ابن أخيه صلاح الدين الذي أظهر مواهبه الحربية في الدفاع عن الإسكندرية. وعلى الرغم من انتصارات شيركوه المؤقتة فإنه شعر ألا سبيل أمامه للاحتفاظ بمصر، فاتفق مع الصليبيين للمرة الثانية على جلاء الفريقين عنها. ولكن الصليبيين نقضوا العهد حين أعدوا حملة دخلت مصر بغرض الاستيلاء عليها، وقد استولوا على "بلبيس" وأعملوا في سكانها القتل والنهب.

الحملة الصليبية الثالثة 582-587: انتصار شيركوه وصلاح الدين على الصليبيين:

وهنا أرسل الخليفة الفاطمي مستنجدًا بنور الدين الذي أرسل جيشه للمرة الثالثة سنة 564هـ/1169م، يقوده شيركوه، وصلاح الدين، وسرعان ما تم النصر على حملة الصليبيين في مصر، وانسحبت تاركة النفوذ والسيطرة لجيش شيركوه

وقد حاول شاور العودة إلى سياسته القديمة، والتخلص من شيركوه؛ ولكنه فشل وقُبض عليه وأُعدم. وعُيِّن "شيركوه" وزيرًا للخليفة الفاطمي بدلا من شاور. وعندما مات شيركوه خلفه في الوزارة وقيادة الجيوش ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 564هـ/1169م، وقد تركزت في يد صلاح الدين جميع السلطات، وتمر الأيام وصلاح الدين

يتألق نجمه، وتظهر مع الأيام عبقريته، ويموت الخليفة الفاطمي العاضد سنة 567هـ/1171م بعد أن ألغي صلاح الدين الخلافة الفاطمية، وتصبح السلطة الفعلية والنفوذ الحقيقي في يده، يقبض عليهما بيد من حديد.

وراح الصليبيون يفكرون، لقد خلصت مصر لقوات المسلمين، وأصبحت في يد هذا الرجل الحديدي الذي سيوحد قوي المسلمين ويحطم قوي الصليبيين، وإن غدًا لناظره قريب.

ظل صلاح الدين حاكمًا على مصر زمنًا طويلا يدعو للخليفة العباسي ولنور الدين من بعده. وتأسست الدولة الأيوبية بمصر بعد وفاة نور الدين محمود 569هـ/1174م على يد صلاح الدين الأيوبي.

لقد كان الفاطميون من الشيعة، أما الأيوبيون فهم من أهل السنة، ومن أجل هذا راح صلاح الدين يلغي مظاهر الخلافة الفاطمية ورسومها، ويُعطل معاهد الدعوة الشيعية وطقوسها. وعادت السنة إلى مصر.. السُّنِّية التي رفضت كل مُعْتَقَد دخيل على ما جاءها به نبيها وتمر الأيام فيرث صلاح الدين دولة نور الدين، ويخضع له أمير الموصل سنة 583هـ/1168م.

لقد كانت دولة نور الدين تضم ما بين المسلمين من الشام والحجاز واليمن، كما ضمت أجزاء من شمال إفريقية. فأصبحت دولة صلاح الدين تضم شمالي العراق، وشرقي الشام، ثم الحجاز واليمن ومصر وبعض شمالي إفريقية. لقد كان هذا أكبر اتحاد للقوي الإسلامية في ذلك الوقت الذي كانت فيه الدولة العباسية مفككة ضعيفة لا سلطان لها. وإن بينها وبين الدويلات الصليبية غدًا قريبًا تسترد فيه الأرض وتحمي العرض.

وفي بعض الفترات كان صلاح الدين يعقد معاهدات مع الصليبيين ليتفرغ لتوحيد الجهة الإسلامية، ولكنهم نقضوا العهد، ذلك أن رجنلد (أنارط) أمير الكرك الصليبي نقض هذه المعاهدة، وقام الصليبيون ببعض الاستفزازات للمسلمين منها أن رجنلد هذا أعد أسطولا يعبث بشواطئ الحجاز ويهاجم الحجاج المسلمين، ودأب على مهاجمة القوافل الإسلامية. لا مفر إذن من وقوع الحرب بين الفريقين، وتقدمت قوات صلاح الدين من دمشق، ووجهتها القدس.

موقعة حطين 583هـ:

كان نصر الله المبين حيث التقت جيوش المسلمين بجيوش الصليبيين في "حطين" وكان ذلك في عام 583هـ/1187م.
لقد جمع الصليبيون عشرين ألف مقاتل جمعوهم من كل دويلات الصليبيين. واشتبك الجيشان، وانجلت المعركة عن نصر ساحق لصلاح الدين مع تدمير تام لجيش أعدائه .لم يكن أمام جيش صلاح الدين بعد معركة حطين إلا أن يتقدم نحو القدس، وقبل أن يتقدم نحوها استسلم له حصن "طبرية"، وفتح "عكا" واستولى على "الناصرية" و"قيسارية" و"حيفا" و"صيدا" و"بيروت"، وبعدها اتجه صلاح الدين إلى القدس.

استرداد القدس:

ولكن الصليبيين تحصنوا بداخلها، فاتخذ صلاح الدين جبل الزيتون مركزًا لجيوشه، ورمى أسوار المدينة بالحجارة عن طريق المجانيق التي أمامها، ففر المدافعون، وتقدم المسلمون ينقبون الأسوار، فاستسلم الفرنجة، وطلبوا الصلح،

فقبل صلاح الدين، واتفق الطرفان على أن يخرج الفرنجة سالمين من المدينة على أن يدفع الرجل عشرة دنانير، والمرأة خمسة، والصبي دينارين، ووفى المسلمون لهم بهذا الوعد، وكان ضمن من خرجوا البطريرك الأكبر يحمل أموال البِيَع (الكنائس) وذخائر المساجد التي كان الصليبيون قد غنموها في فتوحاتهم.

رحمة صلاح الدين:

وفي هذه الأثناء، قال بعض المسلمين لصلاح الدين: إن هذا البطريرك يقوى بهذا المال على حرب المسلمين! فأجاب صلاح الدين: الإسلام لا يعرف الغدر، وقد أمّنا وعلينا الوفاء. وخرج الرجل بهذه الأموال.

ويروى أن مجموعة من النبيلات والأميرات قلن لصلاح الدين وهن يغادرن بيت المقدس: "أيها السلطان! لقد مننت علينا بالحياة، ولكن كيف نعيش وأزواجنا وأولادنا في أسرك؟! وإذا كنا ندع هذه البلاد إلى الأبد فمن سيكون معنا من الرجال للحماية والسعي والمعاش؟! أيها السلطان! هَبْ لنا أزواجنا وأولادنا، فإنك إن لم تفعل أسلمتنا للعار والجوع". فتأثر صلاح الدين بذلك، فوهب لهن رجالهن، رحمك الله يا صلاح الدين، فقد كنت مثالا للرحمة والعفو وحسن الخلق، وكنت مثالا حسنًا لمبادئ الحضارة الإسلامية وعظمة الإسلام.

ويتقدم البطل الفاتح ليطهر البلاد والعباد من شراذم الصليبيين الذين دنسوا الأرض، واعتدوا على العرض. وتقدم جيش البطل صلاح الدين بل جيش الإسلام والمسلمين؛ ليستولي على معظم مستعمرات الصليبيين ومناطقهم الهامة.

وقد ساعد على نجاح هذه الحملات أن معظم حاميات الصليبيين لقيت حتفها في حطين.

ويجيء عام 586هـ/1189م، ولم يَبْقَ في أيدي الصليبيين من كل أرض سوريا وفلسطين سوى صور وأنطاكية وطرابلس وبعض مدن وقلاع صغيرة مبعثرة هنا وهناك.

والحق أن هذه الأماكن الساحلية التي استهان المسلمون بها وتركوها في أيدي الصليبيين كانت سببًا في كثير من المتاعب للدولة الإسلامية بعد ذلك، فقد تجمع فيها الصليبيون الفارون من الأماكن الأخرى، وقاموا بمهاجمة البلاد الإسلامية المجاورة، واستولوا على بعضها وساعدوا الحملات الصليبية الثالثة التي جاءت من الغرب وكبدت المسلمين خسائر فادحة.

الحملة الصليبية الرابعة والخامسة 586-597: ملوك أوربا يقودون الحرب الصليبية:

فقد كان لهذه الانتصارات وعلى رأسها سقوط القدس صدى مؤلم في أوربا أدى إلى إثارة الحماس مرة أخري، وتصاعدت صيحات إنقاذ الأراضي المقدسة تتردد في أرجاء أوربا. واتجهت الكنيسة إلى جمع الضرائب للحروب الصليبية، وشجعت الناس على الخروج لقتال المسلمين، وأعلن البابا أن من لم يستطع أن يخرج بنفسه وتبرع بالمال غُفرت له ذنوبه، ثم تطور هذا الأمر إلى إصدار صكوك الغفران لكل من يتبرع لهذه الحرب، أو يخرج فيها. وتم تعبئة عدد من الحملات يقودها ملك إنجلترا "ريتشارد" الملقب بقلب الأسد، و"فيليب أوغسطس" ملك فرنسا، و"فريدريك بربوسا" ملك الألمان.

لقد كانت الحملة التى قادها فردريك فاشلة، وذلك لأن قائدها نفسه قد غرق في نهر بأرمينية، فعاد معظم جيشه من حيث أتي، ولم يصل منه إلى الأراضي المقدسة سوى عدد قليل. وهكذا وقع عبء الحرب على ريتشارد وفيليب. وقبل وصول هذين الأخيرين، أخذ الصليبيون يجمعون قواتهم، ويحاولون القيام بعمل مضاد لحركات صلاح الدين.. فوجهوا قواتهم لتحاصر عكا من البر، وأساطيلهم لتحاصرها من البحر، وكان في استطاعة صلاح الدين أن يقضي على الجيش الصليبي لولا وصول ريتشارد وجيوشه في ذلك الوقت.

وقد طال الحصار البحري البري مدة عامين كاملين من سنة (586-588هـ/ 1189-1191م) ضرب فيها الفريقان أسمى أمثلة الشجاعة، وأخيرًا سقطت عكا في أيدي الصليبيين.

الصليبيون يقتلون الأسرى:

وتوصل الجانبان إلى اتفاق يطلق بمقتضاه الصليبيون سراح حامية عكا، شريطة أن يدفع صلاح الدين 200 ألف قطعة ذهبية.

وقد حدث أن تأخر دفع المبلغ المتفق عليه، فأمر ريتشارد بإعدام كل أسراه، وعددهم 2700 أسير، وهذه نقطة سوداء في تاريخه، يقابلها من جانب صلاح الدين نبل عظيم في معاملة أسراه؛ حيث كان يتعامل معهم بالرحمة والتسامح.

وفي الحملة الخامسة، قد توجه الصليبيون للقسطنطينية، بدلا من سوريا وقرروا القضاء على البيزنطيين، وكانت النتيجة أم وقعت الحرب بينه المسيحيين أنفسهم مما دعا البابا للنداء لوقف القتال، وانتهت الحملة الخامسة دون التعرض للمسلمين.

صلح الرملة:

استمرت المناوشات البسيطة بين الفريقين، ولكن ريتشارد مَلَّ الحرب، وخاف على ملكه في أوربا، فجرت بينه وبين صلاح الدين مشاورات ومراسلات، ومن أهم ما جاء في هذه المراسلات ما كتبه ريتشارد إلى صلاح الدين يقول: إن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت ديارهم، وتلفت الأموال والأرواح، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب، والقدس مُتَعَبَّدُنا ما ننزل عنه، والصليب خشبة عندكم لا مقدار له، وهو عندنا عظيم؛ فيَمُنّ به السلطان علينا ونستريح من هذا العناء.

فأجاب صلاح الدين: القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة، فلا تتصور أن ننزل عنه، وأما البلاد فهي لنا واستيلاؤكم كان طارئًا عليها لضعف المسلمين، وأما الصليب فهلاكه عندنا قُربة عظيمة فلا يجوز أن نفرط فيه إلا لمصلحة أوفي منه.

وقد أدت هذه المفاوضات إلى عقد اتفاق بين الجانبين وهو صلح الرملة سنة 589هـ/1192م، وشروطه: ترك أراضي الساحل للصليبيين، ومنها صور وعكا ويافا وعسقلان، في حين أصبح داخل البلاد لصلاح الدين على أن يسمح للمسيحيين بالحج إلى بيت المقدس، وأن يتعهد بحمايتهم.

موقف الأيوبيين من الصليبيين:

ولما مات صلاح الدين سنة 589هـ/1192م، حكمت أسرته من بعده، فحكم أخوه العادل مصر ومعظم أجزاء الشام، وخلفه ابنه الكامل الذي سقطت دمياط في عهده في يد الصليبيين لما هاجموا مصر سنة 615هـ، ثم انسحبوا منها مدحورين.. بعد هزيمة فادحة أدت بهم إلى الجلاء عن مصر سنة 618هـ، بعد الصلح مع الملك الكامل، فقد قطع المصريون جسر النيل فغرقت الأرض بالمياه وأوشك الصليبيون علي الهلاك، فطلبوا الصلح.

الحملة الصليبية السادسة 612-614: هجوم دمياط وأسر ملك فرنسا:

ثم هاجم الصليبيون دمياط أيام الملك الكامل واحتلوها وساروا إلى القاهرة إلا أن المصريين أوقعوا بهم في النيل وقطعوا خطوط إمداداتهم وهزموهم هزيمة منكرة.

الحملة الصليبية السابعة والثامنة 624-644:

وقد كان الإمبراطور الألماني فريدريك قائد الحملة السابعة كان الصراع دائرا بين أبناء الدولة الأيوبية فلم يستطيعوا أن يكونوا قوة كافية للوقوف في وجه فريدريك، فاستولى على القدس بغير إذن من البابا وأعلن نفسه ملكا لها. واتفق الأيوبيون بقيادة الملك الكامل على هدنة مع فريدريك لمدة عشر سنوات حتى يتمكن الكامل من الإنتصار على خصمه مما أجج الغضب في العالم الإسلامي لفقد مكتسبات صلاح الدين.

ثم تعرضت مصر أيضا لحملة صليبية قادها ملك فرنسا لويس التاسع الذي استولى على دمياط سنة 647هـ، ولكنه وقع أسيرًا فحمل مكبلا بالسلاسل إلى المنصورة حيث سجن في دار قاضيها ابن لقمان، وكان ذلك بفضل حكمة وقيادة ركن الدين بيبرس للقوات المصرية، وافتدى نفسه بتسليم دمياط للمسلمين ودفع فدية مالية، وعادت دمياط إلى الأيوبيين سنة 648 هـ.

وأمام التهديد الدائم من قبل الصليبيين للإسكندرية وغيرها من مدن الشام، لم يقف المماليك البرجية مكتوفي الأيدي؛ بل راحوا يفكرون في قطع دابر الصليبيين "بقبرص" وكان لهم ما أرادوا، حتى تمكنوا في عهد الأشرف بَرْسِباي سنة 829هـ/ 1426م، من هذا الأمل، وأسروا ملك الصليبيين الذي ظل أسيرًا بمصر حتى سنة 830هـ/1427م، ولم يفك أسره إلا بعد دفع جزية كبيرة على أن يعترف بسيادة المماليك على قبرص!

وتظل لمصر السيادة على قبرص في عهد المماليك البرجية حتى سنة 923هـ/ 1517م، وهي السنة التي آل فيها حكم البلاد إلى العثمانيين، وسقطت دولة المماليك البرجية.

نتائج الحروب الصليبية:

وبهذا فشلت الحروب الصليبية، ولكن برغم الفشل السياسي والحربي للحملات الصليبية فإن هذه الحروب كان لها نتائج بالغة الأثر؛ منها اتساع تجارة أوربا وبخاصة "جنوا" و"البندقية" و"بيزا" مع موانئ الشام. ولم يقتصر هذا الاتساع على الفترة التي سيطر فيها الصليبيون على الأراضي المقدسة، بل استمر حتى بعد أن أجلوا عن الإقليم كله. كما ساعدت علىانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.